الكاتب النسونجي وحَوَل الثقافة

"نسق"

فلسطين – نابلس – شارع تونس
بجانب مسجد أم سلمة

الكاتب النسونجي
وحَوَل الثقافة

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كمها

الطبعة الأولى
٢٠٢٥م

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing of the writer

جميع الحقوق محفوظة، يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها لأغراض تجارية بدون إذن خطّي من المؤلّف.

توطئة..

أن تكتب هو ما حدث، لكن أن تكون كاتباً

هو كل ما لم يحدث!!

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبها

.المقدمة

بقلم الشاعرة / نسرين شعيب الصائغ.

الجزء الأول سأتحدث فيه عن نبذة حول سيرة المفكر الإسلامي محمد نبيل كبها، والجزء الثاني سأتحدث فيه عن نبذة حول كتابه "الكاتب النسونجي وحَوَل الثقافة".

<u>الجزء الأول:</u>

تَكَحَّلَتْ أَجْفَانُ الْحُرُوفِ بِبَرِيقٍ وَضَّاءَ، وَفَاضَ الْحُضُورُ أَثَرًا حَرِيرِيًّا يَنْثُرُ الشَّذَا تَرَاتِيلَ مُؤْنِسَةً، مُؤَازِرَةً مُطْمَئِنَّةً، كَمَا التَّبَاشِيرُ مُقْبِلَةً، تَبُوحُ بِمَا رَحُبَتْ، تَنْهَمِرُ بِالطُّهْرِ الْقَشِيبِ لِيَشْتَدَّ الْوَقْعُ بَيَاضًا وَأُنْسًا.

أَقِفُ الْيَوْمَ وَكُلِّي فَخْرٌ وشكرٌ، لَا لِأَرْوِيَ سِيرَةَ مُفَكِّرٍ إِسْلَامِيٍّ سَامِقٍ فَحَسْبُ، بَلْ لِأَفْتَحَ نَوَافِذَ مِنْ نُورٍ عَلَى مَنْ أَضْحَى نَبْضًا سَابِقًا لِزَمَانِهِ، إِذْ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّةٍ بِأَكْمَلِهَا.

اسْمٌ مُفْرَدٌ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، صَاغَ مِنَ الْإِيمَانِ نَهْضَةً وَمِنَ الْفِكْرِ رِسَالَةً، وَشَقَّ دَرْبَهُ فِي رُبُوعِ الْعِلْمِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالْفَلْسَفَةِ عَلَى أُسُسٍ مَعْرِفِيَّةٍ رَاسِخَةٍ بِاتِّزَانٍ مُؤَسَّسٍ بَنَّاءٍ غَيْرِ هَادِمٍ.

في حضرة فكره صرامة أدب وشفافية روح وعمق تحليل، يمتد خطابه الديني كجسر واعد ما بين الماضي والحاضر والغد حتى اتساع المدى، حين يُستحضر الفكر من ذروته، تستوقفنا الدهشة أمام مفكر لم يكتفِ بانتاج المعرفة والتحليل والعمق وحسب، بل جدد صياغة الفكرة بمهارات تستبق عصرها وزمانها..

إنه الرباط الوطيد الأثر في دروب الوعي والكلمة، إنه المفكر الإسلامي **محمد نبيل كبها**.

هو فيلسوف ومفكر إسلامي ومثقف موسوعي وداعية صوفي وأديب فلسطيني من مواليد مدينة جنين (٢٤-٧-١٩٨٥) حاصل على درجة البكالوريوس في الهندسة، وعلى الدكتوراه الفخرية من جامعة الأمم المتحدة للحرية والسلام، وهو من المفكرين المسلمين البارزين في فلسطين وفي العالم العربي، ويعتبره البعض من العلماء المعاصرين ومن روّاد الخطاب الديني المستنير.

هو مثقف موسوعي، له دراية بالعلوم الطبيعية، الشكلية، الفيزيائية، التطبيقية، الشرعية، الاجتماعية والإنسانية.

هو كاتب وأديب حائز على عدة عضويات، فهو عضو الاتحاد العام لكتاب وأدباء فلسطين، والعرب، والمبدعين، والاتحاد الدولي للمثقفين العرب، ومنظمات السلام العالمية، ومنتدى الكتاب العربي .

هو متعدد المجالات، فهو مفكر إسلامي، ومفكر أخلاقي، وإمام وخطيب وداعية ومحاضر، وأديب وكاتب وقصصي وروائي، وناقد وصحفي وإعلامي. بالإضافة إلى كونه مهندس حاسوب في الأساس، وحاصل على درجة البكالوريوس في الهندسة من جامعة ٦ أكتوبر بجمهورية مصر العربية.

الحياة المهنية:

- يعمل مهندس حاسوب في وكالة الأنباء الرسمية لدولة فلسطين "وفا" التابعة للرئاسة ومنظمة التحرير الفلسطينية .
- عضو في نقابة المهندسين الفلسطينيين .
- ناشط صحفي في مجلة نور الثقافية التابعة لجمهورية اليمن، كما أنه كاتب رئيسي للمقالات الفكرية والنصوص الأدبية فيها .
- كاتب فعال مع عدة مؤسسات وصحف ومجلات ومواقع وشبكات عربية ودولية .
- خطيب وإمام في مساجد محافظة رام الله والبيرة في فلسطين سابقا.

ولا سيما **حضوره الإعلامي** البارز، إذ قدم خواطر وبرامج وندوات ومحاضرات عديدة على مواقع التواصل الاجتماعي، منها (القضية العالمية والكونية، الفيلسوف والحذاء، للرصد وبالمرصاد، خواطر مفكر إسلامي، سيدة الأرض فلسطين) وله العديد من المشاركات في المحافل ومعارض الكتاب الدولية، وكتب العديد من المقالات والخواطر على مواقع محلية وعربية وعالمية، كما ونشر عنه العديد من الأبحاث في المنصات والمنابر الأكاديمية والتعليمية، ونقلت عنه نشرات الأخبار المحلية والدولية الكثير من الآراء والتحليلات، كما أنه عضو معتمد في مجلة نور الثقافية، وكاتب رئيسي فيه.

وتم نشر ابحاثه العلمية على أوسع منصَّة ثقافية عربية في العالم، والتي أخذت مساحة من الجدل الواسع، كأبحاثه (كروية الأرض بين الفلسفة والدين والعلم، نحن

لم نفهم الله، عوالم لكنها نهائية، الكون الرياضي، الميتيونز إعادة صياغة لنظرية التطور، بقعة الله ومُستحثّات الإيمان في الدماغ الإنساني، الكون معمور ولسنا وحدنا) .وتم نشر أبحاثه الدينية على أهم المنصات المختصة بالعلوم الشرعية والفقه الإسلامي، كأبحاثه (سكرة الخمر وسكرة الموت، الجميلون الثلاثة في العلائقية، الدين واحد فلم جعلتموه أديانا، المؤسسة الزوجية لا تبنى على الحب).

كما أنني من متتبعي **نشاطه الأدبي** جراء قراءاتي المعمقة لموسوعات فكره

المتشعبة الرؤى والمفاهيم المستشرية في عروق المعرفة، فهو كاتب نشط يكتب مع أكثر من جهة، منها:

- كاتب في "منتدى الكتاب العربي"، وهو أول موقع ثقافي عربي على شبكة الانترنت، تم تأسيسه في سويسرا، ويعتبر أهم مرجع للباحثين والأكاديميين والمثقفين والمفكرين والعلماء في أنحاء العالم .
- كاتب في "منصة جوك الثقافية"، أكبر منصة ثقافية عربية في العالم .
- كاتب في "شبكة مداد الإسلامية"، من أهم المواقع المتخصصة بالعلوم الشرعية .
- كاتب في "مجلة نور الثقافية"، مجلة يمنية معتمدة دوليًّا غير ربحية • .كاتب في "موسوعة المعرفة"، أكبر موسوعة عربية متعددة المجالات والحقول على الإنترنت .
- كاتب في "جريدة القدس"، صحيفة ورقية سياسية ناطقة بالعربية، تعد الأكثر توزيعاً في فلسطين
- وكاتب في عدة مؤسسات وصحف ومجلات ومواقع وشبكات عربية ودولية .

كما أنه **عضو** في عدة **اتحادات** وهي:

- عضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.
- عضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب.
- عضو الاتحاد العام للمبدعين العرب.
- عضو منتدى الكتاب العربي.
- عضو الاتحاد الدولي للمثقفين العرب.
- عضو الاتحاد الدولي لمنظمات السلام العالمية.

أما بالنسبة **لمقالاته وأبحاثه ونصوصه**، فقد كانت له العديد من المشاركات، حيث :

- شارك في كتابة المقالة السياسية .
- شارك في كتابة المقالات الوطنية .
- شارك في كتابة المقالات الثقافية .
- شارك في كتابة المقالات الدينية .
- شارك في كتابة النصوص الفلسفية .
- شارك في كتابة الأبحاث العلمية .
- شارك في كتابة المقالات التربوية والتعليمية

كتبه ومؤلفاته:

أما بالنسبة لمؤلفاته وكتبه، فله العديد من الكتب والمؤلفات الجامعة ما بين الثقافة والسياسة والفلسفة والدين والعلم والرواية والمجموعة القصصية، أبرزها:

- العزف على أوتار الروح "دراما الإنسان."
- السابع من أكتوبر "بداية اللعنة."
- عين الفيلسوف.
- رحلتي في البحث عن الإله.
- تالا "مجموعة قصصية."
- قرن الجريمة.
- مشكلتي مع باربي.
- لا آلوك بحبي يا دنيا.
- حيوان أمريكا.
- محمد أربعون.
- لماذا أزلت لحيتي "رواية."
- مسكولوس "رواية."
- سيدو نبيل "رواية."

الصادرة عن دور النشر **"**الرعاة للدراسات والنشر**"** و **"**جسور للنشر والتوزيع**"** و **"**المؤسسة الفلسطينية للنشر والتوزيع**"** و **"**نسق**"** كما أن لديه ديوان شعر بعنوان "أعلنت الحب عليك" ويتضمن ١١ قصيدة شعرية أهداها إلى زوجته (دينة) ولكنه لم ينشره.

وله العديد من الأبحاث والدروس والندوات والمحاضرات في المجالات الثقافية والفكرية والأدبية والدينية والعلمية والفلسفية والتي ألقاها في المساجد والمراكز العلمية والمؤسسات الثقافية والجامعات الفلسطينية، كجامعة بيرزيت، ومؤسسة العدنان للتميز والابداع، ومركز بيت المقدس للأدب، وبلدية البيرة، وغيرها، ولديه العديد من الأفكار والنظريات والأطروحات المثيرة للجدل، ومنها من اتفق معه فيها الجمهور والمفكرين والعلماء. كما أن لديه رؤية خاصة وتفسير خاص للقرآن الكريم.

فكره:

ليس لديه أصدقاء، وكان دائم التَفكّر وأقرب إلى الوحدة والعزلة، حيث مكث في عزلته لقرابة عامين كاملين على احدى الجبال في مدينة بيتونيا الكائنة في محافظة رام الله بفلسطين، عاد منها صوفيّاً، ولكنه صوفي معرفي على طريقته، وطريقته هي ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما انتخبه من مشارب العلوم والفلسفة. وكان مهتمًا بالقراءة والبحث والكتابة، حيث عرف عنه أنه يقرأ بمعدل سبعة ساعات يوميا، حيث أهتم إلى جانب اهتمامهِ بالهندسة الحاسوبيّة بالعلوم الشرعية والكوزمولوجيا والأستر ونومي والأنثروبولوجي والثيولوجيا والانطولوجي والجيولوجيا والزي ولوجي والبيولوجيا والثناتولوجي والإيكولوجي والميتافيزيقيا والأديان وبالفلسفة وعلم النفس والتاريخ والنظريات وغيرها من العلوم.

يَعْتَبِرهُ البعض من العلماء المعاصرين والمفكرين الإسلاميين الإصلاحيّين والمجدّدين للخطاب الإسلامي، ويمتاز بأسلوبه الذي يطرحه في المجالات الدينية والعلمية والأدبية بنسق فلسفي رائع.

نشاطه الصحفي:

كما وقد تم استلام المفكر الإسلامي محمد نبيل كبها لبطاقة الصحافة الخاصة بمجلة نور الثقافية اليمنية، والمعتمدة من جامعة الأمم المتحدة للحرية والسلام.

ويباشر المفكر محمد نبيل كبها ممارسة نشاطه الصحفي في مجلة نور الثقافية اليمنية بالاضافة الى كونه كاتب رئيسي فيها، لنقل صورة وطنه المألوم والمكلوم "فلسطين"، والذي يتعرض بشكل يومي للمجازر الدموية والمشاهد الصادمة والأنتهاكات الصارخة من قبل آلة الحرب الإسرائيلية والصهيونية. ويقول المفكر محمد كبها مُعقبا حول ذلك: "إنه واجبي الإعلامي أن أكون ناقلا للحقيقة بالإضافه

الى كوني مفكر إسلامي وكاتب وروائي وخطيب وداعية وأديب أن أوظف قلمي وصوتي لنقل معاناة شعبنا الفلسطيني تحت جناح حرب لا ترحم وتستهدف الكل الفلسطيني حتى الأجنة في بطون أمهاتها، لأن سلاحي الوحيد هو قلمي وصوتي".

ألقاب:

لقب ب (المفكر) بعد مقابلة أجراها بعنوان (أسئلة الملحد يجيب عليها الدين أم العلم) حيث تم منحه لقب "المفكّر" لأفكاره التي راقت للجميع، ووجد فيها العموم والباحثين والأكاديميين ضالتهم، وكان منهم الاتحاد العام للكتاب والمبدعين والمثقفين العرب.

حصوله على شهادة الدكتوراه الفخرية:

تم منح المثقف والمفكر الإسلامي م.محمد نبيل كبها شهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة الأمم المتحدة للحرية والسلام.

تدريس كتبه وأفكاره في الجامعات:

تم تدريس فصول من كتابه (عين الفيلسوف) الفلسفية والوجودية في بعض الجامعات الفلسطينية والعربية، وحيث تناول كتابه عين الفيلسوف مجموعة من المواضيع الفلسفية المعقدة بطريقة بسيطة وواضحة، واعتبره الاكاديميين والباحثين والمفكرين بوابة لفهم العوالم الفلسفية المختلفة التي قد تكون بعيدة عنك، حيث يستهدف الكتاب كل من يهتم بالفلسفة، سواء كانوا طلابًا أو باحثين أو حتى قراء عاديين.

يحتوي الكتاب على محتوى يهم الجميع، ويمكن استخدام عين الفيلسوف كمصدر دراسي، خاصةً للمهتمين بدراسة الفلسفة. يقدم الكتاب معلومات قيمة وأفكار جديدة يمكن الاعتماد عليها في الأبحاث والدراسات الأكاديمية، ويعتبر كتاب عين الفيلسوف للمؤلف محمد نبيل كبها من الأعمال الفلسفية المميزة التي تستحق القراءة. من خلال أفكاره العميقة وأسلوبه السلس، وهو الآن بصدد الترجمة ، حيث تلقى المفكر محمد كبها عدة اتصالات بخصوص ترجمته.

وتم عمل رسالة الماجستير على كتابه (السابع من أكتوبر) في جامعتي (الجزائر، والحاج الخضر باتنة) في دولة الجزائر.

ولقد تم ترجمة نصوص أدبية من كتابه (العزف على أوتار الروح – دراما الإنسان) وبعض القصص من مجموعته القصصية (تالا) الى اللغة الإنجليزية، وبثها على مواقع أجنبية وعالمية.

اعتماده كمرجعية من مجلس أمناء منتدى الكتاب العربي الذي أنشأ في سويسرا:
كما وتم اعتماد المفكر الإسلامي محمد نبيل كبها من قبل مجلس أمناء منتدى الكتاب العربي، والذي أسسته الدكتورة أماني أمين في جنيف - سويسرا عام ١٩٩٨ كمفكر إسلامي فلسطيني، وكاتب وأديب وروائي. وتم منحه العضوية رقم ٩١٢٤ من بين أبرز المفكرين والكتاب والروائيين والأدباء حول العالم. ويعتبر منتدى الكتاب العربي مرجعاً هاماً للباحثين في أنحاء العالم من قبل الكثير من مراكز الدراسات المتنوعة بالهيئات وأقسام الدراسات العربية بالجامعات الأجنبية. حيث تم التعريف عن المفكر الإسلامي الفلسطيني محمد نبيل كبها صاحب الأربعين عاماً، على أنه

من أبرز المفكرين حول العالم العربي، وتم استضافة أفكاره في منتدى الكتاب العربي كمرجعية للجامعات والباحثين والأكاديميين والجامعيين.

إدراجه وتصنيفه كعالم وداعية:
تم إدراج المفكر الإسلامي والداعية والمثقف والأديب الفلسطيني م.محمد نبيل كبها ضمن قائمة العلماء والدعاة في شبكة "مداد" للعلوم الشرعية.

وهي من أهم المواقع المتخصصة بالعلوم الشرعية إلى جانب أقرانه من كبار العلماء والدعاة المسلمين وأشهرهم حول العالم.

حيث سيعرض الموقع ندوات ودروس ومحاضرات المفكر الإسلامي والداعية الفلسطيني محمد نبيل كبها المشاهدة والمسموعة، بالإضافة الى عرض نصوصه وأبحاثه ومقالاته الدينية والعلمية والثقافية، واصداراته ومؤلفاته.

الجوائز والتكريمات:
- تم منحه الدكتوراه الفخرية من جامعة الأمم المتحدة للحرية والسلام.
- تم منحه شهادة المُثقف العربي من مجلة نور الثقافية وجامعة الأمم المتحدة للحرية والسلام.
- تم تكريمه من الاتحاد الدولي للمثقفين العرب.
- تم تكريمه من الأمانة العامة للجائزة الفلسطينية العالمية للآداب.
- تم تكريمه كأبرز شخصية أدبية على مستوى الوطن العربي لعام ٢٠٢٥م.
- تم تكريمه ضمن أفضل ١٠٠ شخصية أدبية الأكثر تأثيرا على مستوى العالم لعام ٢٠٢٥م.

الجزء الثاني:

وفي لحظة جوهرية فاصلة ما بين الاستفهام واليقين، وفي زمن تكاثرت فيه الأصوات والمفاهيم، يتجدد اللقاء مع رغد الفكر وقشوع الرؤى وكتاب رقم ١٤ للمؤلف الموقر سيد محمد نبيل كبها .

هنا ينهمر القلم بغزارة اللغة التأويلية، الاستنباطية، الاستقرائية.

الكتاب يتحدث عن مفهوم الادب، ولماذا الادب ضرورية؟ وعن مفهوم الثقافة، ولماذا الثقافة ضرورية؟ ويتحدث عن كلمة "ثقافة" التي هي من أكثر الكلمات تعقيدا على الإطلاق من وجهة نظره الشخصية، ولكن يمكن مقاربتها بمعاني كثيرة، ويتحدث عن صفتها المفردة والجمعية، وعن ارتباطها بالدين والاخلاق والعادات والادب والفن، وعن أنواع الثقافة، وعن عوائق النهوض الحضاري في الأمة العربية والإسلامية والتي مدخلها التخلّف الثقافي.

كما يؤشر على أن المجتمع العربي والاسلامي يعاني من أزمة ثقافية بالمفهوم العميق للثقافة، وعن أزمة الأدب العربي ولماذا تقدم الادب الغربي في المقابل، وعن غياب النقد الموضوعي للأدب العربي، وعن لماذا يصنف الأدب العربي والعالمي على أساس الأدب الروسي؟ لماذا هو جوهر الأدب، بل لماذا الادب الروسي هو الادب بعينه؟

كما وتحدث عن الواقع المخجل لأمة إقرأ هي أنها لا تقرأ، لذلك هي أوهن الأمم. ولو نظرنا الى استهلاك الورق وطباعة الكتب لدى العالم الغربي والأعجمي سنجده عشرات الأضعاف عما نستهلكه نحن العرب!

ولقد نثر يقول فيه: (نحن العرب كنا، ولكن نحن الآن لا شيء، وعندما كُنّا كان السؤال يصيح داخل تكويرة رأسي: "كيف لقلة يسيرة من العرب تعيش في العصر الجاهلي أن تطلق الحضارة في بضعة عقود؟!).

كما وتطرق الى أن الأزمة الثقافية في العالم العربي لا تنحصر في جهالة العموم فقط، وإنما في قلب النخبة التي تدعي الثقافة.

ووضع العلامات التي تؤشر على أن المجتمع العربي يعاني من إنحطاط ثقافي، كما وأكد أن الأزمة الحقيقية ليست أزمة ثقافة عامة ومجتمعية بقدر ما هي أزمة مثقفين، أو من يدّعون الثقافة، أي أزمة النخبة، وهم في الحقيقة من يحتاج لإصلاح أو تغيير إن لزم الأمر.

كما وتحدث عن خطر الكاتب النسونجي على الثقافة والمجتمع، كما ونوه الى أن الإنحطاط الثقافي لم يقتصر على أزمة المعارف، والأبحاث العلمية، والهشاشة الأكاديمية، والتناحرات السياسية، والتفككات الاجتماعية، بل على أزمة الأخلاق والقيم! أزمة معظم رواد الأدب العربي والإسلامي أنهم لا يحملون الأخلاق والقيم، لا نجد فيهم القدوة، لافتقارهم الى الواجهة الأخلاقية التي لا يمكن ولا بأي شكل من الأشكال أن يمثلوا هذا الجيل التائه والحائر والضائع والتافه، وأخطرهم الكاتب النسونجي الذي يتحرش في النص!! وأن الكاتب النسونجي يؤدي دورا ناقصافي الادب.

كما وتحدث عن من هو المثقف؟ أنواعه؟ شروطه؟ كما وتطرق الى المصلح الثقافي، وأنواع الإصلاح؟ وعن عوامل الاصلاح الثقافي واصلاح المثقف .

لم يكن هذا كتاب كتابًا وحسب، بل قيمة حسية يختبر فيها القارئ اتساعه الداخلي.

أخيرا وأقول:

ألا فليَبْقَ أثرُك ذاك الذي لا تهزمه المحابر، شامخًا، لماحًا، لبيبًا، سيالًا فوق الصفائح! ولتكن ملكة الأدب حاضرة في أذهاننا جديرة الصدى شديدة السَّماهر.

وفي الختام: سيرة كهذه لا تُقرأ، بل يقام لها طقس من الدهشة والتكريم والإصغاء. تقبل فائق تقديري واحترامي. بيننا الضاد وفي الضاد خلودٌ لا يشيخ ..

بقلم الشاعرة / نسرين شعيب الصائغ

لبنانية الجنسية - مقيمة في بلاد المهجر "استراليا".

.الفصل الأول.

مفهوم الأدب .. ومفهوم الثقافة

ومن هو الكاتب النسونجي؟

مفهوم الأدب، ولماذا الأدب ضروري؟

مفهوم الأدب؟

إن الأدب هو صورة تعبيرية عمّا يغلي في حنايا الإنسان، وكأنه حُلّة لغوية تنثر كسائها على نواتج القلب والعقل الإنساني، وتتجلى على شكل قصة، رواية، شعر، نثر، مسرحية، قصيدة، مقولة..

كان العرب في الجاهلية يسمّون الطعام الذي ينادون الناس إليه "مأدبة"، ومن هنا أخذت كلمة "الأدب" العربية.

وبالنسبة للأدب العربي فهو أصيل، حيث كانت آخر دراسة أنه يمتد الى أكثر من ١٥ قرناً من العصر الجاهلي، وهذا ما يجعله غني بالتجربة، وعميق في الخبرة، وما يميز الأدب العربي أيضاً هو الغَضَارة اللغوية، لأن اللغة العربية تُعتبر من أغنى لغات العالم بالمفردات، حيث تومئ التوقعات الى أنها تحتوي على ما يزيد عن ١٢ مليون كلمة "دون تكرار"، يليها الإنجليزية حوالي ٦٠٠,٠٠٠ كلمة، يليها الفرنسية حوالي ١٥٠,٠٠٠ كلمة، يليها الروسية حوالي ١٣٠,٠٠٠ كلمة .

وعلة هذه الوفرة اللغوية في أدبنا تعود إلى قدرتها الجسيمة على الإشتقاق والتعددية في المعاني، وتوليد مفردات جديدة من جذور لغوية قليلة، وخصوصا في مجال الشعر، حيث أن الشعر العربي هو الديوان الأكبر في العالم، حتى أنه لم يُعرف الى هذه اللحظة من هو أول شخص كتب قصيدة عربية.

لماذا الأدب ضروري ومهم؟

لأنه الأسلوب الإفصاحي عن مخطط المجتمع البشري، والذي يُعد الصوغ الذي يعكس كُنه الثقافة في كل مجتمع.

مفهوم الثقافة، ولماذا الثقافة ضرورية؟

مفهوم الثقافة؟

عالم الفيزياء الشهير "اينشتاين" كتب مرة يقول في تعريف الثقافة: "الثقافة هي ما يبقى بعد أن تنسى كل ما تعلمته في المدرسة".

أما المنظر الأدبي الفلسطيني "ادوارد سعيد" قال في مفهوم الثقافة: "الثقافة هي صرخة البشر في وجه مصيرهم".

والأكاديمي والروائي والناقد والمنظر الماركسي "ريموند وليامز" صاحب الكتاب الشهير "الثقافة والمجتمع" قال مرة بخصوص تعريف الثقافة: (لا أعلم كم وددت أن لا أصادف هذه الكلمة "الثقافة") وفي مناسبة أخرى أضاف يقول: (كلمة "ثقافة" هي من الكلمات الأكثر تعقيدا على الإطلاق).

لذلك، من الصعب أن تختزل كلمة "ثقافة" في معنى محدد، ولكننا يمكن أن نقاربها في معاني متعددة، التربية، الإهتمام، النمو، الحصاد، والتي تجري في ثلاثة مراحل: "زراعة الثقافة، ثم بَستنة الثقافة، ثم جِناية الثقافة".

وجدير بالتنويه أن الكاتب والفيلسوف الفرنسي "فولتير" هو من أطلق المصطلح كمصطلح "ثقافة" كصفة فردية، أما كصفة مجتمعية فقد عرفها مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية "إدوارد بيرنت تايلور" في كتابه "الثقافة البدائية" على أنها: "مركب معقد مكون من الدين والعادات والتقاليد والفن والأدب والصناعة وكل ما يصدر عن حياة الجماعة ماديا ومعنويا"، والتي تعني باختصار "طريقة الحياة، وأسلوب الحياة لمجتمع ما هي الثقافة".

الشاعر والمسرحي والناقد الأمريكي "توماس ستيرنز إليوت" المشهور ب (ت.س. إليوت) كان يصر في كتاباته على أن الثقافة هي ما يعكس روح الدين في مجمع ما أو شعب ما، فكان يرى أن الثقافة أساسها الدين، ونواة الثقافة هو الدين.

معظم المدارس الانثروبولجيا تُعرف الثقافة على أنها ما يتعلق بالمادة، ما يدور حول المادة وليس الرمزي، أما المدارس التاريخية عرفت الثقافة على أنها ما يتعلق بالرمزي وليس المادي، فتدخل الدين والخرافة والاساطير في تعريفها، أما الانثروبولوجيا السوسيولوجيا الأمريكية فعرفتها على انها تتعلق بالجانب الغير مادي البعيد عن الصناعة والتكنولوجيا، بل بالفن والأدب والجمال والخيال، على عكس الألمانية التي عرفتها على انها تتعلق بالجانب الرقمي والتطوري الصناعي والتكنولوجي.

وهناك ثقافة عالمة، وثقافة غير عالمة، الاولى هي من تأسست على العلم، وأصحابها المفكرون والعلماء، والثانية هي الشعبوية.

لماذا الثقافة ضرورية ومهمة؟

لو سألت: "ما الفرق بين الإنسان والحيوان؟"، الجواب هو الثقافة.

الحيوان يعيش في الطبيعة، ولكن الانسان يتخطى الطبيعة، والثقافة تتعدى الطبيعة، لماذا؟ لأنها صنع وابداع انساني، لذلك الانسان بالثقافة يتخطى الجغرافيا.

وعلي أن أنوّه الى أن الثقافة مجتمعية وليست فردية، واذا لم يكن هناك منتج ثقافي لهذا المجتمع فإنه سيعيش في الطبيعة مثله مثل أي حيوان، نظيراً للكلب، الحمار، الأفعى، الحرباء، القرد!

أنواع الثقافة:

الأولى "اجتماعية"، والثانية "فكرية"

الاجتماعية، والتي تعني السلوكيات، وطريقة النهج والمسالك والتصرفات والمعاملات (كثقافة المجتمع الفلسطيني، أو اليمني، أو اللبناني، أو الجزائري والتونسي)

أما الفكرية، وهي التي تتترسخ في ثلاثة جوانب: "الفكر، الأدب، الفن".

من هو الكاتب النسونجي؟

الكاتب النسونجي هو الكاتب الميت، الذي لا ينبض بالقيم والأخلاق، يؤدي دوراً ناقصاً في اجهاض جسد الثقافة.

عندما طالعت الادب العربي، وقرأت لنخبهم صدمت بكمية الإنتحار الأخلاقي المنثورة في نصوصهم -إلا من رحم ربي- حيث تم تكسيره بتوظيف القذاعة والبذائة وكلّ أنواع الجنسانيّة التي لا يمكن توصيفها، من غزل ذو إسفاف بالمؤنث وهزل ماجن بالمذكر، وأدب بالجماع وبالخمريات وغيرها من أدب القذارة التي لا يمكنني إعادة نقلها لوساختها التي لا تُوصف!!

تجد ملفوظات الفحش صريحة حد الإفراط على مائدة الأدب العربي لدى الكتاب النسونجيين، والإنفعال فيها تتجلى وقاحته عبر التلذذ في تكرار ترديد ذكر هذه الأعضاء التناسلية، تماما كعقدة فرويد القضيبية.

حيث تجد الكاتب النسونجي مشحون جنسيّاً منذ طفولته بخاطر جنسي لكي يتحرش في النص، أقرب ما يكون إلى عقدة أوديب "Oedipus complex" في المرحلة القضيبية "Phallic Stage" التي تحدث عنها الطبيب النمساوي "سيجموند فرويد" مؤسس علم النفس التحليلي في نظرية التحليل النفسي.

وعند بلوغه يساهم في انتاج الفساد والقذارة في دورة أدبية لا تنتهي، وكأن مهمة الكاتب النسونجي والإباحي هو أن يُفسد ما خلقهُ وأصلحه الله سبحانه، لأن الله - سبحانه وتعالى- خلق الإنسان كائن أخلاقي في الأصل، إلا أن الكاتب النسونجي والإباحي بجرأة تلفظه بالتعبيرات البذيئة وتحرشه في النص فشل في أن يكون كاتباً أو أديباً، فضلا على أن يكون الإنسان الذي أراده الله عز وجل.

وقد عُرف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان أشد حياءً من العذراء في خِدْرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفه الصحابة في وجهه.

بهذا الخلق اشتُهر عنه صلى الله عليه وسلم، أنه كان أشد حياءً من العذراء في خِدْرها، والمقصود: "في خِدرها"، أي: (الخدر ستر يكون للجارية البكر في ناحية البيت).

يولد الأدب حراً، فيكبله الكاتب النسونجي بالأغلال، ويحقن جسده بلُفاظات خادشة للحياء، ثم يلوث شرفه ويزني بالمفاهيم ليساهم في إطلاق الانحطاط الحضاري والاخلاقي في المجتمعات.

٠الفصل الثاني٠

عوائق النهوض الحضاري في الأمة العربية والإسلامية مدخله التخلّف الثقافي٠

من اللافت أن هناك انحطاط حضاري، ومدخل هذا الإنحلال هو التخلف الثقافي، فنحن نعاني من أزمة ثقافية ملحوظة، وأنا أتحدث هنا بالمفهوم العميق للثقافة "الأسلوب الشمولي"، والذي ينبش الحقول جميعها، ويخاطب كل فئات المجتمع.

بكل أسف أجد المجتمع العربي لم يحقق النهضة الثقافية، وهذا واضح بشكل جلي في أن الثقافة العربية تُعنى بنشر ثلاثة عوامل رئيسية تساهم في تخلفنا الثقافي:

الأول هو التفاهة "la médiocratie"، ومُعضلات عصر التفاهة "نظام التفاهة"، كما نثر الفيلسوف الكندي "آلان دونو" في كتابه "نظام التفاهة" والذي صاغ هذا المفهوم "Médiocratie"، حيث يُهيمن التافهين والموظفين مطيعين على مفاصل القرار، فيُكافأ السطحي ويُقصى المفكر الناقد.

والثاني هو التجهيل"Agnotology"، وهي دراسة علمية وممنهجة لنشر التضليل، والشك، ابتكرها المؤرخ "روبرت بروكتور" وخبير اللغويات "إيان بوال" عام ١٩٩٥، وتهدف لفهم كيفية صناعة "اللا معرفة" بدلاً من البحث عن المعرفة.

والثالثة هي الإباحية "Pornography"، والتي تدرجت من المنحوتات إلى الصور الفوتوغرافية، ثم الأفلام السينمائية. وكان المؤسس الأول لها في العصر الحديث هو "هيو هيفنر" وهو ناشر مجلة أمريكي، والمؤسس الرئيسي لمشاريع البلاي بوي.

ولكم أن تتخيلوا أن العالم التركي الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء "عزيز سنكار"، لا يتجاوز عدد متابعيه ٣٥٠ ألفاً، في المقابل نجد عاهة تهز بكرشها في محتواها تجذب اكثر من ١٥ مليون متابع من كل أقطار العالم العربي والإسلامي! ومحاضرة علمية مغربية، تجمع بين علماء وأساتذة وأكاديميين آثروا التوجه الى العموم بعلمهم لإيقاظ الوعي، إلا أن عدد مشاهدين هذه المحاضرة الغنية لم يتجاوزا

ال ٣٠٠ شخص فقط ، بينما تجد رقصة عارية تجاوز عدد مشاهداتها المليار! ولقاء وحوار مع عالم دين يتربع حوله ٥٠ شخص فقط، فيما يطوف حول خصر مغنية عربية أكثر من ١٠٠ ألف من الوافدين!

هذه المقارنات تلخص بوضوح عِظم التدهور الثقافي والفكري للمجتمعات العربية والاسلامية.

وخليق بنا أن نعرّج على أن العطب التاريخي للأدب العربي والثقافة العربية مركبة، وصولا الى هزيمته الكبرى أمام الأدب الغربي والثقافات الأعجمية، وهذا ما جعلني أحمل هم هذا السؤال: "لماذا تخلف الأدب العربي، وتقدم غيره من الأدب؟".

إن الأدب هو تعبير الانسان عن دواخله وعواطفه ونوازعه، وبيان طناياه وحناياه وثناياه التي لأجلها كان الأدب، إن كان شعراً، نثراً، قصةً، روايةً، خاطرة، حكمة، مثلا، مسرحية، لكن وفق سياقات لغوية وعلمية واضحة، وعلى أسسها الأربعة "العاطفة، والمعنى، والأسلوب، والخيال".

الكاتب "روبرت كول" نشر دراسة أكد فيها أن مفاهيم الأدب العربي مبنية على ركائز الأدب الغربي، وأن الأدب العربي في بداية مشواره لم يكن يُدوّن، على عكس الأدب الغربي الذي دُوّن في بداية إنطلاقه، ليخلّد من بين الآداب الأخرى، ثم تطوره وارتقائه، في مقابل جمود الأدب العربي، وسقوطه في مجالات عديدة كالرواية والقصة والمسرح وغيرها.

وللعلم أن الأدب العربي في باكورته كان يفتقر الى جوانب عديدة، كالمسرح، الرواية، حيث ظهرت أول رواية عربية في القرن العشرين، وهي رواية "زينب" للروائي المصري "محمد حسين هيكل".

بالإضافة الى أن الأدب العربي مكرر الى حد الملل، بينما نجد الأدب الأجنبي متطور ومتجدد، كما أن الادب العربي يفتقر الى التنوع الثقافي، حيث أن الادب العربي يقتصر على نواحي ضيقة في الادب، كالشعر مثلا، على عكس الادب الغربي المليء بالتنوع، والذي يعتمد على مجالات وأنشطة متعددة وكثيرة.

أما إذا أردنا أن نُعرج على التعقيد والصعوبة، فاللغة الصينية أصعب وأعقد من اللغة العربية.

أيضاً، يضح لنا أن الادب العربي متأثر بالادب الغربي، بدليل أن فكرة "الف ليلة وليلة" مقتبسة من كتاب فارسي أعجمي، والذي كانت قصصه بالأصل مأخوذة من

كتاب هندي اسمه "كليلة ودمنة"، والقصص والروايات التي تأثر بها الكتاب والأدباء العرب من الغرب لا تعد ولا تحصى، حتى في المسرح، وفي السينما وغيرها.

ولا يعني اذا كان الأدب العربي أصيل، وأن الغرب تعلموه ودوّنوه أن الأدب العربي أفضل؟! فالاحصائيات في زماننا تشير الى أن الأدب الأفضل عالميا هو الروسي، ثم الفرنسي، ثم البريطاني، ثم الأمريكي، ثم الصيني، أما عن العربي فهو في ذيل الأدب للأسف الشديد.

يلاحظ إقابل العرب كعموم وأكاديميين ومؤسسات وجامعات على الأدب الأعجمي وخصوصا الروسي بنسبة تصل الى ٧٥%، في المقابل جمود الأدب العربي الذي ظل واقفا وأسيرا للتقليد حتى هذه اللحظة في عدة مجالات، كالرواية، الفن، القصة، المسرح، وحتى السينما، وغيرها.

الأدب العربي بلغ أوجه في القرن الرابع والخامس الهجري، بسبب تعدد المدارس وما أُنتجته الحضارة الأندلسية من أدب جميل وأخّاذ، فظهرت الموشحات والتصوف، وغيرها، وأعتقد أن الادب العربي تأخر بعد سقوط بغداد مروراً بدخول نابليون مصر الى وقتنا الحالي.

ما ينقلنا إلى مرحلة "عصر الانحطاط"، والذي بدأ تحديداً بعد سقوط بغداد عام ١٢٥٨م، واستمر حتى بداية العصر الحديث -القرن التاسع عشر- والذي عانى من كسل وضعف في الإنتاج الأدبي، وصولا الى القرن الواحد والعشرون، والذي انغمس فيه بالصناعة اللفظية على حساب المعنى، والكثافة المملة في تزيين النص على حساب الكلمة، وعلى النقيض نجد غياب البواعث والمحركات التي كانت كائنة في الحُقب الدابرة.

فمثلا، يتحرك الادب العربي بغزارة في حقل الرواية فقط، والتي أعدها هشة وسطحية لأسباب عديدة، منها:

- ضعف اللغة العربية.
- انكفاء المستوى الفني، وكأنها أقرب لثرثرات.
- الاكثار في الحواشي الى حد الملل.
- إختلال المتون.
- عدم الاهتمام بالبلاغيات والمحسنات البديعية، أو الافراط بها على حساب المحتوى والفكرة.

- الافتقار الى نمط الشروح، بالاشارة الى نمط علمي أو أسلوب منهجي لشرح نص معين، وفقًا لقواعد نقدية أو لغوية أو عقائدية واضحة.
- التقليد الأعمى والتقفي لأثر الأدب الغربي وللرواية الغربية دون وعي كافٍ برواسبها وتأثيراتها، واغترابنا عن ذاتنا ودِيننا وهويتنا.
- التسطيح الروائي والتبسيط المفرط للفكرة أو للأحداث أو للأشخاص.
- شغور التحليلات وتواري العمق.
- التحرش بالنص، والتطرق الوقح للجنس والاباحية.
- عدم وضوح المعايير النقدية في بنية الرواية.
- انحسار الرعاية الثقافية، وتضاؤل الدعم المؤسساتي.
- غياب النقد الموضوعي للرواية، وكثرة المجملات الزائفة.
- عدم التنوع الأدبي والعمل الروائي.
- السرقة الفكرية والمعنوية من الأداب الأخرى، وخصوصا من اليابانية والصينية والكورية.

ويضاف إلى ذلك:

- الصراعات السياسية.
- الإعلام التجاري والزائف.
- مواقع التواصل الاجتماعي، وتوفير مساحة لغير المختصين والمأهلين.
- التخلف المجتمعي.
- تغييب دور المثقف والمفكر الحقيقي في المؤسسات والمراكز والوزارات والهيئات، والتعتيم على دوره، وعدم التفاعل معه.

في المقابل، من يقرأ الأدب الروسي ويتذوقه، يمكنه حقيقة أن يحلق خارج حدود الزمان والمكان، بل ولقد أصبح الأدب الروسي هو المعيار الذي يحدد من خلاله الكاتب أو الروائي، وتُقاس ثقافتهم بمدى الإضطلاع عليه، وليس هذا فحسب، بل إن اقتناء الكتب والروايات الروسية أصبحت تقليدا لدى الشباب العربي، حيث رفد الأدب الروسي الثقافة العربية بمزيد من المعارف والأفكار والتصورات والخيال والأخيلة.

فعندما تسأل أحد الكتاب أو القراء -العرب- سؤالاً عارضاً: (هل قرأت قصة علام يحيى الإنسان للروائي والمفكر المسيحي ليو تولستوي، أو الأخوة كرامازوف لدوستويفسكي ، أو الحرباء لتشيخوف، أو ملكة البستوني لبوشكين) ويجيبك: "بلا"، فإنه ينظر في شأنه الثقافي وهويته الأدبية؟!

وهنا السؤال: "لماذا يصنف الأدب العربي والعالمي على أساس الأدب الروسي؟ ولماذا هو جوهر الأدب، بل لماذا الأدب الروسي هو الأدب بعينه؟".

لأنه يتصف بالعمق، وابتكار الفكرة، ويركز على الوعي الانساني، والاشكالات الفلسفية والاجتماعية والنفسية له، بالاضافة الى طرحه للقضايا الانتولوجية والانثروبولوجية والسيكولوجية وتحليلاتها وتعقيداتها، ناهيك عن التنوع الأدبي في الطرح، من الروايات الكلاسيكية، القصة القصيرة، الشعر، والمسرح وغيرها.

فمثلا، رواية "موت إيفان إيليتش" للمفكر الأخلاقي وداعية السلام الكونت "ليو تولستوي"، ورواية "مذكرات قبو" للروائي "فيودور دوستويفسكي"، و"السيدة صاحبة الكلب" للكاتب المسرحي "تشيخوف"، و"الاميرة النائمة والفرسان السبعة" للشاعر "أكسندر بوشكين"، و"الأنفس الميتة" للكاتب "نيقولاي غوغول"، و"الآباء والبنون" للروائي "إيڤان سيرجييفيتش تورغينيف"، كلها كانت الهبة الحقيقية في تطور الأدب العالمي.

كل من ولج عالم الثقافة الروسية المشحون بالقيم، الهائج بالعاطفة، الحافل بالتراجيدية، المتنوع بالفكرة، المحرك للسؤال الوجودي، والباعث عن معنى الحياة وكينونة الإنسان، فإنه تذوّق معنى الأدب الرفيع حقّا.

لقد وقعت في عشق الأدب الروسي عندما طالعت قصة "علام يحيى الإنسان" للمفكر الأخلاقي وداعية السلام الكونت "ليو تولستوي"، والذي أعتبره على الصعيد الشخصي أفضل روائي في العالم، وقصته هذه تتحدث عن ملك فسق عن أمر الله، فقام الله بقص جوانحه عقوبة له، ومسخه من جسد ملك الى انسان، ثم نفاه من الملكوت في السماوات الى أرض روسيا، فأخذ هذا الملك يستغفر الله ويتوسله أن يردّهُ ملكاً ويعيده الى الملكوت -في السماء- فأجابه الله سبحانه: "لن تعود الى الملكوت الا اذا أجبتني على ثلاثة أسئلة؟"، فردّ الملك على أمل: "وما هي؟"، فقال الله سبحانه: (الأول: "ما الذي مُنعه وحُرمه الإنسان؟"، والثاني: "ما الذي أعطيه الإنسان؟"، والثالث: "علام يحيى الإنسان؟") وتبدأ رحلة الملك بجسد الإنسان باحثاً عن أجوبة لهذه الأسئلة الثلاثة.

قصّة من أعجب ما قرأت! يمسخ الله جسد ملك من ملائكته المقربين الى إنسان، لكن روحه ما تزال ملائكية، ثم يمنحه سبحانه فرصة للبحث عن معنى الحياة، والهدف من وجود الانسان؟! القصة ظاهرها الكفر، لكن جوهرها الإيمان! وهذا أجمل ما في الأدب الروسي، أنه يتغلغل في العمق عبر الأسئلة الوجودية والفلسفية.

عكفت من بعدها على قراءة الأدب الروسي بغزارة، وداومت على روايات وقصص هذا الأدب العميق والرفيع.

لقد استوحى المؤلف والمخرج "عزيز أنصاري" فكرة فيلمه "Good Fortune" الذي صدر عام ٢٠٢٥م، من قصة "علام يحيى الإنسان" لليو تولستوي، والممثل العالمي " كيانو ريفز" هو الذي أدّى دور الملك "غابريل" الذي تم تحويله الى انسان بسبب عصيانه للملكوت، مع بعض التغييرات في أحداث القصة بما يتناسب مع الفيلم ورؤية المخرج.

ولقد كتب المنظر السياسي والثوري الروسي "فلاديمير لينين" مقالاً عن ليو تولستوي عام ١٩١٠م قائلا: "تولستوي هو من وصف هذه الحقبة التاريخية من الحياة الروسيّة، حيث استطاع أن يطرح في مؤلفاته عدداً كبيراً من المسائل الهامة، وأن يسمو إلى درجةٍ من القدرة الفنية، بحيث أنّ مؤلفاته شغلت إحدى المراتب الأولى في كنزِ الأدب العالمي، إنّ أدب تولستوي يعتبر خطوةً إلى الأمام في مضمار التطور الفني للإنسانية جمعاء".

كما وقد كتب "فلاديمير لينين" مقال آخر في عام ١٩١١م عنوانه: "تولستوي وعصره" يقول فيه: "إنّ النزعة التولستوية بمضمونها التاريخي الحقيقي هي إيديولوجية النظام الشرقي، النظام الآسيوي".

لقد تأثر الأدب الغربي والعربي بتولستوي، وترجمت أعماله الى لغات عديدة بالإضافة إلى اللغة العربية بعد الحرب العالمية الثانية، وكتب نقاد الأدب دراسات عديدة حول فكر تولستوي بصورة خاصة، ليس كروائي وقاص فقط، بل كداعية وكمفكرٍ أخلاقي، حيث دافع عن حق الجماهير الفلاحية ومصالحهم، وتحدث عنهم وعن آمالهم، وعبّر عنهم وعن طموحاتهم، وانتقد مجتمعه صراحة واظهر شائباته ومثالبه في روسيا.

وهذا ما تميّز به أدب تولستوي وتراثه الفني والفلسفي، حيث انتشر خارج حدود روسيا الى العالم بأسره وصولا الى البلدان العربية، ليصبح أدباً عالمياً.

لقد نشرت الدكتورة "آنا دالينينا" أستاذة الأدب العربي بجامعة لينينغراد الحكومية، مقالاً بعنوان: "لحن كريتسر، لتولستوي"، وأخرى بعنوان:"ليف تولستوي والأدب العربي"، وأصدر "أ.ي.شيفمن" كتاباً بعنوان "ليف تولستوي والشرق" عام ١٩٧١م، ونشر الناقد "ب.ي.بيريوكوف" دراسة عام ١٩٢٤م بعنوان "تولستوي والشرق"، كما وتحدث العديد من الباحثين أمثال "ن.ن.غوسيف ي.ي.زايد نشنور، ي.أ.كوبريانوفي، ك.ن.لومونوف، ي.أ.مايمين ل.د.اوبولسكي، م.ب.غرابتشينكو"

حول حياة ليو تولستوي ومؤلفاته، "كالحرب والسلم، أنا كارينينا، طفولة، البعث، موت ايفان إيليتش، علام يحيى الإنسان، ثلاثة أسئلة، اعتراف"، وعن مسرحياته "كثمار التنوير، قوة الظلام، الجثة الحية" وغيرها..

وهناك من الأدباء العرب الذين تحدثوا عن أدب تولستوي وأفكاره، وطرحوا معالجة مسائل تأثير إبداعه على الأدب العربي والرواية العربية المعاصر .

لم يتمكن أي أدب في العالم أن يُنحّي أثر الأدب الروسي حتى هذه اللحظة، فنحن لا نتحدث فقط عن تولستوي، وإنما عن كتيبة كاملة من عمالقة الأدب الروسي، كدوستويفسكي مثلا، والذي لم ينجح أي أديب أو كاتب أو روائي في العالم نبش طنايا وأعماق النفس البشرية وصراعاتها الأخلاقية والنفسية كما فعل دوستويفسكي، ففي أدبه وروايته "كالجريمة والعقاب، الاخوة كرامازوف، الشياطين، الأبله، المساكين، مذلون ومهانون" وغيرها، والتي حظيت بمقروئية واسعة لدى العرب والغرب، نصوص إبداعية صنعت أثرا غائرا ترجم ووصل لحافة المعمورة.

وهناك من الطلاب -العجم والعرب- الذين اختاروا دراسة اللغة الروسية فقط، من أجل قراءة روايات دوستويفسكي وتولستوي، وشعر بوشكين وأخماتوفا، ويسينين، ومایاكوفسكي، وتسفيتايفا، وقصص تشيخوف.

ولقد قامت الدكتورة "آنّا أركاييفنا دالينينا" بنشر مقالة عام ١٩٦٣م بعنوان "من تاريخ العلاقات الأدبية العربيّة الروسيّة"، وأخرى عام ١٩٦٠م بعنوان "الأدب الروسي في البلدان العربية"، والعديد من المقالات لباحثين كان منها "لحن كريتسر" والتي ترجمت الى اللغة العربية في مصر.

وهناك الادب الفرنسي أيضا، والذي يأتي في المرتبة الثانية، فنجد روايتي "البؤساء، أحدب نوترنام" لفيكتور هوجو، ثم الأدب الانجليزي "ترويض النمرة" لويليام شكسبير، و"مدينتين" لتشارلز ديكنز، ورواية "دراكولا" لـ برام ستوكر، والتي برزت كلها في القرن ١٩، بينما ظهرت متأخراً أول رواية عربية في القرن العشرين، وهي رواية "زينب" للروائي المصري محمد حسين هيكل.

أما اليوم وفي زماننا فنجد أن الادب الروسي ما زال يتربع على عرش القمة، بالاضافة الى الآداب الغربية الأخرى، مع ظهور جلي للأدب الياباني في القرن ٢١، حيث برزت رواية حكاية جينجي "The Tale of Genji" للكابة اليابانية موراساكي شيكيبو، وفي الادب الامريكي رواية الرجل الخفي "Invisible Man" لـ رالف إليسون ن، وغيرها، في حين ما زال الأدب العربي يعاني من انحطاط وإرتكاس وكسل وجمود حتى هذه اللحظة.

٠الفصل الثالث٠

الواقع المخجل لأمة إقرأ هي أنـها لا تقرأ، لذلك هي أوهن الأمم.

أمتنا تسير عرجاء منذ أن هجرت مهنتها الرئيسية "إقرأ"، انحلّت عراها وانقشعت، وتشكل الجهل كجزء أصيل من وجدانها وأضحى أساسا لنكستها لأنها لا تقرأ، والجهل هو جذر كل بائقة ومقدمة لكل انحطاط، وعلى رأسها الكفر، لذلك كانت أول آية في كتابنا "اقرأ"، وهي أول أمر إلهي في القرآن الكريم، والذي يشير إلى قيمة العلم وأهمية المعرفة، فقال تعالى في سورة العلق: ((ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (2) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (3) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (5))، لذلك نحن ندافع عن عقولنا وأنفسنا بأن نقرأ، وأن نتعلم كيف نقرأ.

علّة تراجعنا الحضاري والثقافي هي أننا لا نقرأ، لأن العربي كسول معرفياً، ففي احصائية جديدة تبيّن أن معدل قراءة المواطن العربي بالسنة لا تتجاوز ستة دقائق!! وهذه الدقائق الستة تكون في نوع معين من الكتب "السحر، الطبخ، الجنس" وغيرها من المواضيع التي لا تعتبر رافعة لإطلاق الحضارات، بينما يقرأ الأوروبي بمعدّل ٢٠٠ ساعة سنوياً، وهذا يبين لنا حجم النكبة العلمية والفاجعة الثقافية التي يخوضها المواطن العربي.

بل وقد نُشر تقرير لإحدى الجامعات العربية الذي أكد أن ٧٢% من طلاب الجامعات ينتهون من المرحلة الجامعية دون أن يقوموا باستعارة كتاب واحد من مكتبة الجامعة.

كما وصرّحت احدى دور النشر المشهورة في القاهرة، والتي تهتم بطباعة كتب الأديب "نجيب محفوظ" -والذي يعرفه القاصي والداني، وهو كاتب وأديب مصري مشهورعالميا وليس محليا فقط، وهو أول مصري وعربي حائز على جائزة نوبل في الأدب، ورابع افريقي يحصل عليها- أنها تطبع ٥٠٠٠ نسخة من احدى أشهر كتبه، ولكن المصيبة أنها لا تباع بالكامل، مع العلم أن عدد سكان القاهرة حوالي ١٠ مليون مصري، الا انهم لم يستنفذوا ٥٠٠٠ نسخة من أشهر كتب نجيب محفوظ؟!

خلاف الكوريون، والذين هم من أكثر الشعوب الآسيوية إدمانا على المطالعة، عام ٢٠١٤م حققت نسبة المطالعة بين صفوف مواطنيهم ٩٠%، ولو نظرنا الى استهلاك الورق وطباعة الكتب لدى العالم الغربي والأعجمي سنجده عشرات الأضعاف عما نستهلكه نحن العرب! مقارنة بمواطنين الدول الأوروبية الذين يأكلون الورق ويمضغونه، وهذا يؤشر على وجود هاوية علمية ووهدة ثقافية متباعدة بين ثقافة المواطن العربي وثقافات المواطنين العجم والغرب.

نحن العرب كنا، ولكن نحن الآن لا شيء، وعندما كُنّا كان السؤال يصيح داخل تكويرة رأسي: "كيف لقلة يسيرة من العرب تعيش في العصر الجاهلي أن تطلق الحضارة في بضعة عقود؟!".

وكانت الإجابة الوحيدة هي "القرآن"، هذا الكتاب الذي جعل الله سبحانه فيه سورة كاملة باسم "القلم"، وكان أول ما ابتدأ به نزول القرآن الكريم قوله تعالى: "اقْرَأْ"، والتي كانت سبباً في إصلاحنا ثقافيّاً وبناء روح الجماعة، وأضحت لساناً ثقافيّاً جديداً يخاطب العالم، لتحدث القفزة وتُطلق الحضارة الإسلامية، ليس كهذه الأمة التي لا لسان لها!؟ وان تحدثت فإنها تتحدث فقط في كل ما يهدمها ويُبددها ويفنيها!

لذلك، لا وجود ثقافي لأديب أو كاتب دون أن يكون هناك قُرّاء يقرؤونه! وأنا أتسائل: "ماذا سيكون مستقبل الأمة العربية والإسلامية اذا لم نقرأ؟".

في احصائية أخرى ظهر استبيان يتحدث بأن أكثر المجتمعات قراءة للكتب هي الولايات المتحدة الأمريكية، تليها الهند، تليها الصين ثم النرويج ثم السويد ثم فنلندا، حيث يقرأ المواطن الأمريكي ١٧ كتاباً في السنة، والهندي يقرأ ١٦ كتابا في السنة، يليهم المواطن الصيني ومواطني الدول الإسكندنافية.

بينما أقل المجتمعات قراءة هي العربية، فتأتي مصر بالمركز الأول بمتوسط قراءة ٥ كتب سنوياً، يليها سوريا ولبنان والبحرين بمتوسط ثلاثة كتب سنويا!!

بل إن معدل الأميّة في هذه الأمة العربية والاسلامية حوالي ٢٦%، منهم ٤٠ % ذكور و ٦٥% إناث، وفقًا لـ إيسيسكو.

وهنا ينشط السؤال الأول: "لماذا تقدم الغرب أدبيّاً وثقافياً، وتأخر العرب والمسلمون؟".

عموما.. العرب والمسلمون لا يشعرون أنهم متخلفون ثقافياً، بل أعتقد أنهم لا يعلمون ذلك، وقانعون بصورة واحدة كاذبة وهي إحالة كل شيء على ظهر

الإستعمار والإحتلال.

ولكن الحقيقي هي أن التخلف الثقافي العربي والاسلامي تجلى قبل الاحتلال والاستعمار بأمد بعيد، فبعد وفاة الرسول ﷺ حدثت الفتنة العظيمة "الكبرى" بين المسلمين وتفرقوا الى شيع وأحزاب، فنشبت صراعات انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في عام ٣٥ هـ، والتي بسطت الطريق لحروب وصراعات لاحقة في عهد علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- مثل معركة الجمل، ومعركة صفين، وظهور الخوارج وصولا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان وفترة تأسيس الدولة الأموية، والتي تحولت فيه الخلافة الى سلطة، وانتهى حكم الشورى، والذي مازال حتى يومنا هذا.

لماذا يتم هدم البناء الثقافي والسياسي بعد وفاة الرسول ﷺ ب ٢٥ عاما، مع أننا نتحدث عن الصحابة وخير من كانوا مؤمنين؟

قتل عمر -رضي الله عنه- وبايع الناس عثمان -رضي الله عنه- وحدثت فتنة، والصحابة طالبوا عثمان بالاستقالة ولكنه رفض، ثم قتل الخليفة عثمان -رضي الله عنه- ثم بايع الناس علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- باستناء الشام، الذي كان في قبضة معاوية بن ابني سفيان، ثم حدثت الفتنة وقتل علي -كرم الله وجهه- في عام 40هـ، ثم اغتصب الحكم معاوية وأورثه الى ابنه يزيد.

ويزيد لم يكن صالحاً، حيث كان يلعب القمار، ويشرب الخمر، ولذلك لم يكن مؤهلا أن يكون حاكما، فرفض أهل العراق بيعته، وطالبوا من الحسين بن علي -رضي الله عنهما- أن يتولى القيادة، وأرادوا مبايعته، ثم قتل الحسين بن علي -رضي الله عنهما- في واقعة الطف بكربلاء في العراق.

ثم حدثت صراعات وثورات في المدينة، ثم في مكة، ثم في العراق، وحتى قدوم العصر العباسي، وخلال ٦٠ عاما تفرق العباسيون ووهن الحكم العباسي في ظل الصراعات القومية والثورات التي كانت جُلها من أجل الكرسي.

ومازالت الأزمة السياسية منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا بسبب غياب ثقافة الشورى، وهذا أحد عوامل انحطاط الأمة العربية والإسلامية ثقافياً، والتي أدت لاحقاً الى غياب الهوية الثقافية.

اللافت هنا ان ابن خلدون كان مباشراً عندما وضّح في كتبه أن انحطاط الحضارة الاسلامية بدأ عندما تحول الحكم من شورى الى سلطة -السلطة الحاكمة السياسية- فأصبحت وراثية وملكا جبرياً في عهد معاوية.

ولكن لا طائلة من نداء ابن خلدون في العرب والمسلمين، بل إن المحزن هو أن الغرب هم من اكتشف ابن خلدون، ومنهم المؤرخ البريطاني "أرنولد جوزيف توينبي"، وهو أهم المؤرخين في القرن العشرين، والذي اشتهر بتأليفه الموسوعي "دراسة للتاريخ"، والذي كان له موقف من الإسلام حيث أثنى على دوره الأخلاقي، كعدم التمييز العنصري، وسعيه في تحقيق الوحدة في العالم العربي، كما واعترف أن أعظم من أنجبته الحضارة العربية والاسلامية هو ابن خلدون.

بينما العرب والمسلمون لم يكتشفوه ولم يفهموه، والثلة القليلة من المفكرين العرب الذين طنطنوا خلف الغرب وقرؤوا ابن خلدون فإنه قد مات في عقولهم! ولم يُحال للأسف الى ثقافة في المجتمعات العربية.

وإن لم تضع الامة العربية والاسلامية مسارا جديد بين الأمم -كما قال ابن خلدون- فإنها ستنكفئ من التاريخ وستمحى من الجغرافيا.

وحال ابن خلدون كحال ابن رشد، الذي أيضا اكتشفه الأوروبيون، وأطلقوا عليه لقب "Averroes" حيث تعلّموا منه كل شيء، وليس هذا فحسب، بل تجاوزوه لتحدث بعدها النهضة الأوروبية.

حتى اليابان نهضت حضارياً عندما أرسلت وفودها الى مصر ليتعلموا من مشروع "محمد علي باشا"، فنهضت اليابان حضاريّاً وبقيت مصر بتخلفها الحضاري الى الآن!!

اللافت هو أن بعد الحرب العالمية الثانية والتي انتهت عام ١٩٤٥م، نجد المعرفة الانسانية تتضاعف كل ربع قرن -٢٥ سنة- وفي عام ٢٠١٦م أصبحت المعرفة الانسانية تتضاعف كل ١٨ ساعة -أقل من يوم- لذلك يجب أن نواكبها، وهنا ينبثق السؤال: "أين لواء المعرفة العربية والإسلامية من مكانه بين الأمم؟ وهل غادرت الأمة العربية والإسلامية فكرياً وعلمياً ورقمياً عن طاولة الثقافة والأدب؟!".

للأسف، أن الشعوب العربية والإسلامية أكثر من تدّعي المعرفة والعلم والثقافة، وهذا مؤشر خطير على الجهل، لأن أكثر من يدّعي هو أكثر من يجهل.

ميزت المعرفة والثقافة هي التواضع -التواضع الثقافي والعلمي- وقلة الكلام وكثرة الإستماع، إلا أنّ أجل الإستماع في هذه الأمة انتهى!

تجد أحد العوام في المجتمعات العربية لم يقرأ في حياته أي كتاب، ولا يعلم أدنى معلومة عن أبجديات القراءة، يستوقف عالم أو مفكر أو فقيه أو مُحدّث من باب

وجهة نظره، وهو لا يعرف أساساً ما معنى جملة "وجهة نظر؟"، لا يعلم معناها الفلسفي ولا اللغوي حتى! ثم يتطاول على مدرسة من العلم واقفة امامه!

يُفترض في العامّي وقبل أن يدخل في نقاش علمي أن يتعلم علم المناظرة، والذي يأتي دوره بعد الإضطلاع على العلوم الآلية أولا، ثم دراسة علم المناظرة أخيراً، والذي يرشدك الى كيفية مسالك آليات المناظرات.

لكن مشكلة الأمة العربية والإسلامية هو "الجهل" كما ذكرت آنفاً، هذا الداء العقلي المريب الذي نعيشه وينتشر كالسرطان، فوئد هويّتنا وضيّعها، وخرّج جيلا من التائهين والضائعين والتافهين والسطحيين والشاذين، والذين كانوا المؤذن الفعلي بخراب عمران الثقافة.

٠الفصل الرابع٠

الأزمة لا تنحصر في جهالة العموم فقط، وإنما في قلب النخبة التي تدعي الثقافة.

نقص المعرفة أو الفهم عن شيء معين يعد جهلا، والجهل يكون بثلاثة أشكال: (الجهل البسيط، والجهل المركب، والجهل التقني "الواقعي") أما البسيط فهو الإقرار بعدم المعرفة، وأما المركب فهو الإلتباس، والاعتقاد بصحة شيء خاطئ، وأما التقني فهو عدم معرفة حقيقة ما، أو كيفية فعل شيء ما.

الجهل البسيط هو الأوضح من بين أنواع الجهل، أما المركب فهو أسوئهم، لأنه يحتاج إلى ملاقاة ومقاومة لتمكين عناد الشخص من التسليم بالواقع، لأنه يؤمن باعتقاد خاطئ "وجودي"، لذلك وجب مواجهته.

وهناك فرق بين الجهل والإسراف فيه، فالجهل هو الوقوع في الخطأ دون معرفة، أما الإسراف فيه يعني تجاوز الحد في كل شيء فيه، والإسراف في الجهل لا يعد جهلاً، وإنما علماً.

وهناك سؤال: "هل نحن نعيش في مرحلة إنحطاط ثقافي؟"

هناك أربعة علامات تؤشر على أن المجتمع يعاني من إنحطاط ثقافي، وهي:

- تراجع القيم الأخلاقية "إنحلال أخلاقي عبر التحرش بالنص، والإسفاف في الأسلوب الأدبي أو الفني".
- تراجع القيم المعرفية "عزوف الناس عن القراءة وانعدمها هو مؤشر على ان المجتمع العربي والاسلامي فقير معرفياً".
- تراجع القيم الفكرية "عدم القدرة على انتاج المعرفة".
- تراجع القيم الأدبية "تكسير اللغة العربية، والجهل بها، وعدم المعرفة بقواعدها، وانعدام المحتوى، ودنو مفردة الكتابة وسطحيتها وتفاهتها".

ولا يقتصر هذا التدهور الثقافي على العموم فقط، وإنما على النخب المثقفة والصفوة منهم، فالأزمة الحقيقية ليست أزمة ثقافة عامة ومجتمعية بقدر ما هي أزمة مثقفين، أو من يدّعون الثقافة، وهم في الحقيقة من يحتاج لإصلاح أو تغيير إن لزم الأمر، وهذا يوجب تغيير طرائق التفكير لدى مدّعين الثقافة، أو تغييرهم واستبدالهم بصفوة قادرة على الانتاج الناضج للمعرفة.

وإنتاج المعرفة يكون بخروج الصفوة المثقفة القادرة على الإنتاج العاقل "الانتاج الناضج" الذي يجمع بين التوليد الفكري والثقافي معاً بحلة أخلاقية.

لذلك أزمة الثقافة حقيقة هي من قلب النخبة المنكمشة على ذاتها، والتي تنسب الثقافة لنفسها وتحتكرها، من الكتاب، الروائيين، الأدباء، السياسيين، العلماء ، المفكرين، المثقفين، وكل من يتحدث بالشأن العام، لأن كل من يتحدث بالمسائل والقضايا المجتمعية ويمارس الشأن العام هو يلتحق بصف المثقف.

أزمتنا هي في قلب النخبة التي تسعى الى انبعاث التخلف الثقافي واعادة انتاجه بوجه أحول، ناهيك عن خبو نور الأخلاق فيهم، والإنفصام الثقافي، والإنسداد الفكري، وغياب مواضع النقد، والتي أدت كلها الى ضعف النخبة وفشلها في توجيه العموم.

المؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي" كان يعتقد أن انكسار الحضارة يكون ابتداءً بسبب وهن النخبة التي توجّه الحضارة، إضافة إلى تبدد العموم عن مناصرة الصفوة من المثقفين، لذلك، فشل النخبة هو المؤذن بسقوط العمران الحضاري.

الجاحظ، ابن النفيس، الرازي، ابن الهيثم، ابن سينا، والخوارزمي، لم تكن لديهم الوسائل والأدوات والإمكانيات والرقمنة التي بحوزتنا الآن، ومع ذلك شيّدوا آلاف الكتب والمؤلفات والمصنفات التي اعتبرت مرجعية ثقافية وعلمية للمجتمع الغربي، وتحديدا أوروبا، التي انطلق حضارتها من عقل ابن رشد.

ابن رشد الذي أحدث زلزالا فكريا في العقل الاوروبي، وكان هو فيلسوفها ومحرك النهضة فيها.

ولو تطرقنا إلى كتب العالم العربي "جابر بن حيان"، سنقع على العديد من المؤلفات الغزيرة والمتنوعة في الكيمياء والفلك والهندسة وعلم المعادن والفلسفة والطب والصيدلة، بل وقد عُدت هذه الكتب أول استخدام للكيمياء عمليًا في التاريخ البشري.

لذلك، النخبة الثقافية هم من لديهم القدرة على الانتاج المعرفي "انتاج الافكار"، والتي هي أعمق من انتاج النووي، والقنبلة الهيدروجينية، والمكوك الفضائي،

والرجل الالي، وهذه الافكار هي سلاح ذو حدين، إما أن ترفع الأمة الى أعلى الهرم، وإما أن تنحط به في القاع.

ويجب التنويه على أن هناك مسؤولية تقع على كاهل النخبة أمام التاريخ ثالثاً، وأمام المجتمع والأمة ثانياً، وأمام الله أولاً.

إن ترسيخ الوعي الثقافي والدعوة إلى تحقيق النهضة الأدبية والحضارية، من أهم أدوار النخبةِ في واقعنا المريض، إلا أننا نجد النخب العربية ما زالت تخفق في دورها الثقافي، ومازالت تغلق أذنيها عن الإنصات الى رغبة المجتمع في الإصلاح الثقافي، مما أدى الى تفاقم فوهة الأزمة وإنحطاط الحضارة العربية والإسلامية.

ويجب الإعتراف أن معظم النخبة العربية -على أشكالها وأنواعها وألوانها- أخفقت في خوض غمار الأدب وتحقيق النهضة مع النسيج المجتمعي، بل على العكس، آثرت أن تحيا بمحجر عن المجتمع، كطبقة منزهة بأيديولوجيّة مشوهة ومنفصمة عن الواقع.

٠الفصل الخامس٠

خطر الكاتب النسونجي على الثقافة والمجتمع.

لم يقتصر الإنحطاط الثقافي على أزمة المعارف، والأبحاث العلمية، والهشاشة الأكاديمية، والتناحرات السياسية، والتفككات الاجتماعية، بل على أزمة الأخلاق والقيم!

أزمة معظم رواد الأدب العربي والإسلامي من النخبة المثقفة أنهم لا يحملون الأخلاق والقيم، لا نجد فيهم قادة الرأي العام والمؤثرين فيه، لافتقارهم الى الواجهة الأخلاقية، ونُدرة حضورها في الواقع والنص "إلا من رحم ربي".

وهذا ينقلنا إلى "الكاتب النسونجي".

لقد شكل عدم انصياع الكاتب العربي النسوني منعطفاً جوهرياً في تاريخ الأدب العربي "الأولى" وفي طبيعته، حيث كان هذا المنعطف هو الانشقاق الأول عن المنظومة الأخلاقية التي تمايز فيها الأدب العربي عن غيره.

الكتاب النسونجيين -العرب- هم مساعر للإباحية، يشتغلون في التسميم الأدبي، فعادة لا يخلوا ميدانهم من كأس الخمر مع حضور طاغٍ لجسد المرأة، ويتعلقون بوهج الأضواء على حساب الأخلاق والدين والوطن.

انا -كعربي مسلم- لدي منظومة كاملة انطلق بها أدبياً وثقافياً، ألا وهي كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- بينما الغرب ينطلق من الشبهات!

لماذا يصر الأديب والكاتب النسونجي -العربي- للإنطلاق من الشبهات والغواية؟! أين هو المستوى الأخلاقي الذي يخاطب به الكاتب النسونجي الأطفال والنساء؟ معظمها مربوط بالعري والجنس! بروز كمي ونوعي لجسد المرأة وتفاصيله المرئية والمقروءة في كتبهم ورواياتهم وأشعارهم؟! حتى يكاد الإهتمام بجسد المرأة هو الأدب والثقافة بعينهم!

في هذه اللعبة الوسخة يتقاسم الكاتب النسوجي والقارئ القانع الأدوار، ومن هنا تأتي ضرورة فضح المسكوت عنه، عبارات جنسية تجاوزت حد العري الى النكاح على صفحات الكتب.

تصدير أدبي عصري يحمّله هؤلاء نحو ما يريدون تحميله وما يتناسب مع بث "ثقافة جديدة" قد انخرطوا في توطيدها، عن دراية أو غفلة منهم، ولكنها كانت سبباً مباشراً في انهيار الادب العربي وموت الثقافة.

جيلنا التائه والضائع من أطفال وشباب وطلاب يواجهون هذا الأدب المنحط والخزيَّ المتأتِّي عبر يد الكاتب النسونجي، التي تعمل ومازالت على تعرية جسد المرأة والعبث به في قلب النص الأدبي.

إنه -الكاتب النسونجي- سيد أدب الفتنة والترويج له بلا شك.

ويجب الإشارة على أن الدور الذي يقوم به هؤلاء في استمرارية عرض جسد المرأة في نصوصهم على أساس الحرية، فإني أجده ليس من الحرية في شيء، بل على العكس، هو تعدٍّ على الحرية؟!

وفي معيار التقييم الأدبي بالنسبة لي، أجد "الكاتب النسونجي العربي" منحط أخلاقياً، وأن تكون أخلاقي أهم بالنسبة لي من أن تكون كاتباً أو اديباً أو روائياً أو شاعراً!

وهل أصبح المعيار لكي أكون شاعراً كبيرا، أن أفكر بعقلية إباحية وأكتب في الجنس؟! وهل يشترط أن أتعاطى الكحول كي أصبح كاتباً قدسراً!

لا معنى أدبي أجده في هؤلاء الكتاب وأيديولوجيتهم، الذين ينهضون في الثقافة ويهدمون في المقابل أطفالنها وشبابنا والمجتمع بأكمله عبر هوسهم الجنسي!

وبالمناسبة، الفلاسفة عرفوا أفضل الجمال هو المعنوي، بأن تتذوق الادب، الكتابة، الشعر، القصة ، الرواية، واليوم الكتاب العرب مهووسون ثقافيّاً بدفق الإباحة المائج والمتلاطم عبر حشي نصوصهم بالفودكا والجنس.

إن التحرش في النص هو فساد، والفساد هو ألا يقوم "العضو أو الفرد أو النظام" بوظيفته التي خُلق أو صيغ أو وُضع من أجلها، فغاية الكاتب أو الأديب هو السلوك، وعندما يتحرش في النص بنثر العبارات البذيئة والشاذة والإباحية والخادشة للحياء يصبح فاسداً "كاتب فاسد، أو أديب فاسد".

والدور الحقيقي للكاتب العربي هو أن يكون صالحاً وأخلاقيّاً بالدرجة الاولى، لأنه يتحدث مع الأطفال والنساء وكل فئات المجتمع.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: "الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن موسى عليه السلام كان رجلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده؛ إما برصٌ، وإما أُدْرَة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا، أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه، فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا؛ فذلك قوله :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾]الأحزاب: ٦٩[)).

وعن قرة المزني رضي الله عنه قال: ((كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُكر عنده الحياء، فقالوا: يا رسول الله، الحياء من الدين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحياء، والعفاف، والعيَّ - عيَّ اللسان لا عيَّ القلب - والفقه من الإيمان، وإنهن يَزِدْنَ في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا، وإن الشح والفحش والبذاء من النفاق، وإنهن ينقصن من الآخرة، ويزدن في الدنيا، وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن من الدنيا))، قال إياس: فحدثت به عمر بن عبدالعزيز، فأمرني فأمليتها عليه، ثم كتبه بخطه، ثم صلى بنا الظهر والعصر، وإنها لفي كفِّه ما يضعها.

إن الكتاب هو صديق ورفيق، ويستحضرني أحد الأدباء الذي دخل على الخليفة عبد الملك بن مروان فوجده يقرأ، فقال له: ((يا أمير المؤمنين، إن الكتاب أنبل جليس، وآنس أنيس، وأصدق صديق، وأحفظ رفيق، وأكرم مصاحب، وأفصح مخاطب، وأبلغ ناطق، وأكتم وامق (محب)، يورد إليك، ولا يصدر عنك، ويحكي لك، ولا يحكي عنك.. إن أودعته سرا كتمه، وإن استحفظته علما حفظه، وإن فاتحته فاتحك، وإن فاوضته فاوضك، وإن جاريته جاراك.. ينشط بنشاطك، ويغتبط باغتباطك، ولا يخفي عنك ذكرا، ولا يفشي لك سرا، إن نشرته شهد، وإن طويته رقد، خفيف

المؤونة، كثير المعونة، حاضر كمعدوم، غائب كمعلوم، لا تتصنع له عند حضوره في خلوتك، ولا تحتشم له في حال وحدتك.. في الليل نعم السمير، وفي النهار نعم المشير)).

فقال عبد الملك بن مروان: (لقد حببت إلي الكتاب، وعظمته في نفسي، وحسنته في عيني.)

ولقد تحدث الجاحظ في كتابه "الحيوان" حول صداقة الكتاب: (الكتاب نعم الذخر والعدة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم القرين والدخيل والوزير والنزيل، والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علماً، وَظَرْفٌ حُشِي ظرْفاً، وإناءٌ شُحِن مُزَاحاً وجِدّاً؛ إن شئت كان أعيا من باقِل، و إنْ شئتَ كان أبيَنَ من سَحْبانِ وائل، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِهِ، وإن شئتَ عَجِبتَ من غرائبِ فرائِده، وإن شئتَ ألهتْك طرائفُه، وإن شئتَ أشجَتْك مواعِظُه، ولا أعلم جاراً أبر، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية، ولا أقل جناية، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا، ولا أقل صلفا وتكلفاً، ولا أقل إملالا وإبراما، ولا أقل خلافا وإجراما، ولا أبعد من مراء، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال.. من كتاب. ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، أبر من أرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأضبط لحفظ الوديعة من أرباب الوديعة، صامت ما أسكته، وبليغ إذا استنطقته؟ ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له والتذمم منه؟ ومن لك بزائر إن شئت جعلت زيارته غباً، وورده خمساً، وإن شئت لزمك لزوم ظلك، وكان منك مكان بعضك).

وفي إطار التعظيم من شأن القراءة، يصف الجاحظ أيضاً الكتاب بهذه الأبيات:

نِعم المحدِّث والرفيق كتابُ .. .. تلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مفشياً للسر إن أودعته .. .. ويُنال منه حِكْمَةٌ وصوابُ

لذلك، الكتاب يُنال منه الحكمة والصواب، وليس السفافة والسفالة! وبما أنه صديقنا الصدوق عليه أن يكون كبائع المسك، وليس كنافخ الكير كما قال رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام.

فعدا عن أن القراءة هي طريق العلم وسبب رئيس لمعرفة الإنسان بما أنها الوسط الذي يحوي تفاصيل العلوم والمعرفة، إلا أنها أيضاً هي من يُقوّم السلوك عبر اكتساب الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة.

لذلك أجد الكاتب النسونجي -العربي- منحط أخلاقياً بالمفهوم الإختزالي.

لأنه تخلى عن دوره الطبيعي والاخلاقي في حماية الجيل وتسميم عقله بعرض المواد الإباحية والشاذة.

إننا الآن بأمس الحاجة نحو تغيير ثقافي، فكما قال الدكتور وعالم الاجتماع المصري "أحمد زايد" حول ما أسماهم "النخبة الوطنية" حيث وصفهم بأنها الرؤية اللامعة، والمستقبل الواعد، والعمل الملتزم والمنتظم، والحارسة الحافظة والموثوقة، والوعي اليقظ والمجابه لكل المشكلات والتحديات، ومن تبني القيم، وتبث الأخلاق، ومن تشتغل للصالح العام وليس للمصالح الفردية، من أجل بناء مجتمع يبني وطناً مستقيماً.

ولذلك، نحن بحاجة الى تغيير النخبة، وذلك بخروخ نخبة عالمة وعاملة، وما نهضت الأمة والحضارة الى على يد المثقف الأول، سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، والذي وضع استرتيجة حرك بها الكوكب بأسره، وتتلمذ على يده نخبة من أعظم مثقفين العصر (أبو بكر، عمر، عثمان، علي) رضي الله عنهم جميعا، والذين انطلقت على أيديهم الحضارة الاسلامية، واستمرت آثار روحهم الثقافية حتى وقتنا الحالي.

ثم ظهرت الحضارة الغربية، والتي كان الدافع الاساسي لانطلاقها هم النخبة المثقفة، والتي بدأت من الحضارة الميسينية، وهي أولى بوادر الثقافة اليونانية، ثم عصر النهضة والتي بدأت في ايطاليا في القرن ١٤، ثم الحركة الانسية في القرن ١٦ -وهي حركة فكرية وثقافية وفنية ظهرت في عصر النهضة الأوروبية- ثم حركة الأنوار في القرن ١٨ -وهي حركة فكرية وفلسفية وثقافية واسعة النطاق سيطرت على أوروبا- ثم عصر الفلسفة الكلاسيكية في القرن ١٩، مرورا بعصر النهضة، ووصولاً الى الأدب الروسي "ليو تولستوي، تشيخوف، دوستويفسكي" والذين يتربعون الآن على عرش الأدب العالمي، وهم من يقودون العالم الثقافي الى يومنا هذا.

وأنا لا أدعوا هنا الى الإنهزام أمام الثقافة الغربية، وإنما للبحث في أشكال الإشكالات التي جعلتنا مهزومين كعرب أدبيّاً وثقافياً، لحل الكليات والفروع التي جعلت الثقافة أسيرة التموقع الإباحي.

لذلك، نحن بحاجة الى مصلح ثقافي.

٠الفصل السادس٠

المصلح الثقافي، وأنواع الإصلاح

المجتمع الثقافي العربي سطحي يقتصر على العناوين وتخترقه اي فكرة، وهناك أمراض تحيط به وبنخبه:

- العقل القياسي أو الترادفي.
- الانكفاء على النفس "الانعزال أو الإنحباس".
- عدم تنقيح التراث، والإفتقار الى النقد.

مهمة الناقد هو النقد الذاتي والمجتمعي، فضلا على أن يكون هناك أدب يُنتقد في الأساس! فقبل أن يكون هناك نقد للشعر والقصة والرواية العربية، يجب أن يكون في البداية هناك شعر وقصة ورواية عربية!

المنتج الأدبي لدينا غزير بالرواية والقصة والتي ليست لديها ملامح العمل الروائي والقصصي أصلا، فهي جافة لم تُروى بماء الحياة، والرواية الحقيقية تبكي عند سطورها، كما أنها تحررنا من عتمة وشقاء الحياة! ولكن للأسف أن الرواية العربية تسير بنا نحو العدم، ونحو موت آخر غير موتتنا في بؤس هذا الواقع!

سر جمال قصص "تشيخوف" أنه يُعنى بالشأن المجتمعي "العام"، فتجد أبطال قصصه هم من الناس العاديين، "جارك، صاحب البقالة، العجوز الجشعة"، عكس الأدب اليوناني الذي أرهقنا بأبطال خياليين أمثال "هرقل- هيراقليس" وغيره.

أما عن الكاتب العربي المعروف والكبير لدينا، فهو أناني صغير، يختزل كل اليافعين من الكتاب، والعموم في المجتمع، ضمن معادلة فقيرة يكون هو معلومها ومجهولها ومركزها.

عكس الكاتب الأعجمي، فنجد الروائي العملاق والمصلح الاجتماعي وداعية السلام والكاتب الروسي "ليو تولستوي"، روحًا مرتبكة تفتش عن معناها الوجودي رغم مجده الأدبي الكبير والعميق، فلم يكن يرى السعادة في المجد والمال، وإنما في بضعة أسئلة وجودية أربكته: "ما الغاية من وجودنا؟ أين تكمن السعادة؟

وكيف يمكن أن تكون سعيداً بمعزل عن وهم المجد والشهرة والسلطة؟ وأين نجد السلام الداخلي؟".

أمّا على الصعيد العلمي، فنجد الساحة العربية شحيحة فكرياً وعلمياً وفلسفياً بشكل عظيم لا يمكن تصوره، في المقابل ما تنفقه اسرائيل على الأبحاث العلمية أكثر مما تنفقه ٢٣ دولة عربية مجتمعة معاً!

لقد تحدث الفيلسوف والناقد الالماني "كارل ماركس" بإسهاب حول وظيفة الناقد عندما تحدث عن نقد شعر الثورة وقتها، وهنا يأتي السؤال:

من هو المصلح الثقافي؟

هو عصب التعديل والتبديل في المجتمع، من يملك أدوات التغيير البيداغوجية والديداكتيكية، ويستطيع تحديد التفاعلات الأساسية بين ثلاثة أقطاب: (المدرس "القطب الديداكتيكي"، المتعلم "القطب السيكولوجي"، والمعرفة "القطب الإبستمولوجي") أو ما يسمى ب "المثلث الديداكتيكي"، ثم يمارس "النقل الديداكتيكي"، فيُحيل المعرفة الى فكرة ومُعتقد، ثم يُحيل الفكرة الى سلوك وممارسة لدى عموم المجتمع.

ولا يكون المصلح الثقافي مصلحاً، إلا اذا تجرد من أحاديته وتفرده وجموده وانحباسه الثقافي، ومارس دوره الحقيقي في المجتمع كناقد ومُبشر وواعظ، لكي تتحرك الثقافة في المجتمع ولا يظل طابعها مطبوعاً الى مالانهاية، لأن الثقافة تتشكل من سلوكنا ونمط حياتنا.

كما أن المصلح الثقافي هو من يلتزم بالمعايير الأخلاقية ويراعي القيم الانسانيّة، ويتجرد من كل تعصب حزبي أو طائفي ويقبل النقد، وطن للجميع، أشبه بداعية ليّن رحيم القلب، قال تعالى في سورة ال عمران/ الآية ١٥٩: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"، فسلام على المُصلح الأول -نبينا محمد صلى الله عليه وسلم- مصلح البشرية وثقافتها.

في زمن رسولنا وحبيبنا محمد -صلى الله عليه وسلم- كان هناك عمران للعلم وللدين وللفلسفة وللفقه وللبلاغة وللكلام، كانت الحضارة الإسلامية لديها يقظة فكرية وثقافية، والتي كانت باكورتها دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: "أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟".

لقد جاء في صحيح البخاري أنه قيل: (غَزَوْنَا مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقدْ ثَابَ معهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حتَّى كَثُرُوا، وكانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حتَّى تَدَاعَوْا، وقالَ الأنْصَارِيُّ: يا لَلْأَنْصَارِ، وقالَ المُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: ما بَالُ دَعْوَى أهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟! ثُمَّ قالَ: ما شَأْنُهُمْ؟ فَأُخْبِرَ بكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأنْصَارِيَّ، قالَ: فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعُوهَا؛ فإنَّهَا خَبِيثَةٌ. وقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ: أقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؟ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فَقالَ عُمَرُ: ألَا نَقْتُلُ يا رَسولَ اللَّهِ هذا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّه كانَ يَقْتُلُ أصْحَابَهُ).

كانت المرأة توؤد فيزيائياً في الإسلام -وهذه كانت ثقافة سائدة- حتى جاء نبينا المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وأطلق حريتها، فأصبحت مهندسة وطبيبة ومعلمة وتخرج للجهاد، إلى أن جاء عصرنا فقمنا بوئدها تارة أخرى، ولكن هذه المرة وئدناها معنوياً بدعوى الجاهلية أيضا!

على الصعيد الشخصي فإنني لا أنكر حسنات وايجابيات كانت للأدب والثقافة العربية المعاصرة، والتي تعود رواسبها الى عصر انطلاق الحضارة الاسلامية على يد نبينا ومعلمنا محمد -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين -عليهم رضوان الله سبحانه- ولكن نحن الآن نعاني من اختراقات قوضت الأدب والثقافة العربية "كالحشو، والاباحية، السرقة، وغيرها"، كما أن هناك انتفاضات ثقافية أخرى حاولت ردم الأدب والثقافة العربية والإسلامية، مثلما أحدثه الغزو المغولي والتتار تحت راية الحاكم السفاح "هولاكو" عام ١٢٥٨م "٦٥٦هـ" في العراق.

حيث خلف هذا الغزو في بغداد دماراً ثقافياً عظيماً، فأحرق المكتبات، وهدم أكبر مكتبة في العالم وقتها "بيت الحكمة"، ونهب المخطوطات، وألقى معظم المجلدات في نهر دجلة، مما تسبب في اصطباغه باللون الأسود بسبب الحبر.

وإبان هذه الحرب على الثقافة تم تدمير التراث الفكري الإسلامي، في واحدة من أكبر الكوارث الثقافية عبر التاريخ.

والمرجعية الحقيقية للعودة بالنهوض بالأدب والثقافة العربية هي الحضارة الاسلامية، في اطار ثوابت الاسلام، وما تبقى متغير.

قال تعالى في سورة هود/ الآية٨٨: "إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"، ومن هنا يجب توضيح أنواع الإصلاح العامي والثقافي لكي تتكثَّفُ كل العناصر، وننهض بالحضارة العربية والإسلامية.

إن البداية بالإصلاح هو تربوي، أخلاقي، فكري، إجتماعي، علمي، سياسي، ثقافي، ديني، والذي يبدأ من الانسان نفسه، فالإصلاح الثقافي لا يكون من الخارج، ولا عبر مقاطعة الثقافة العربية وتمزيق هويتها، وإنما من الداخل، بتحريرها وتجديدها وإعادة بنائها، وهناك الإصلاح العامي، والإصلاح الثقافي.

الإصلاح العامي

الإصلاح العامي نوعان:

١- مركب، يجري على المجتمع ومجاري النفس.

٢- مباشر، يجري على النخبة وعلى الافراد.

الإصلاح الثقافي

الإصلاح الثقافي يتضمن ٤ عوامل:

١- الاصلاح السياسي: ويتطلب إنتاج السلطة، وإعادة توزيعها على المجتمع من جديد ، لأن البلاط الحاكم يتحكم في الناس عبر مبدأين، الاول "تخويفهم"، والثاني "احباطهم"، وفيهما تصنع مجتمع جبان ومتخلف، لا يمكنه أن يكون مجتمع شجاع ومثقف، لأنه سيخرج عن السيطرة.

٢- الإصلاح الاقتصادي: ويتطلب إنتاج الثروة، وإعادة توزيعها على المجتمع من جديد.

٣- الإصلاح الأخلاقي: ويتطلب إنتاج القيم، وإعادة توزيعها على المجتمع من جديد.

٤- الإصلاح الفكري: ويتطلب إنتاج المفاهيم، وإعادة توزيعها على المجتمع من جديد.

فمثلا، لا ينبغي أن تخرج السياسة من الإكراه السياسي الفصائلي، ولقد تحدث الفيلسوف والمناضل الماركسي الإيطالي "أنطونيو غرامشي" حول ذلك، فكان يعتقد أن مشكلة المجتمعات وتفككها سببها السياسة التي تُسيّر الثقافة، فالناس محكومون بقيم وثقافة تتحرك ضمن سياسة معينة وموجهة، والتي تنتجها الطبقة الحاكمة، وتحافظ عليها، وتبرمج العامة على التفكير من خلالها فقط، ثم تأتي المرحلة الأخيرة باقناع العامة على أن هذه القيم طبيعية وحال المجتمعات بأسرها، للحفاظ على الوضع السياسي والثقافي القائم، لذلك نحن بحاجة إلى إصلاح سياسي.

وأيضا، لا ينبغي ان يخرج الخطاب الديني من العين الطائفية، ولذلك وجب تجديد الخطاب الإسلامي.

ولو سألنا: "لماذا تبدو الأمة العربية والاسلامية عالقة؟ وما سبب جمود وانتكاس العقل الإسلامي والعربي في مقابل تقدم وتطور وارتقاء العقل الغربي؟".

هناك عدة أسباب: أولا "الإغتراب عن الواقع"، ثانيا "التبعية"، ثالثا: "القياسية دون تنقيح"، وأنا لا أدعوا الى ردم التراث، وإنما الى تنقيحه.

لا يوجد أي إشكالية في أن تنتمي لحزب أو لفرقة أو لطائفة معينة، لكن أن تُغلّب الحركة الحزبية والهوية الطائفية على الوطن مثلا أو الدين أو الثقافة، أو أن تُقصي الآخر، هنا عين المشكلة.

عدا عن تكفير الخطاب الإسلامي للفلسفة كمفهوم، مع أنه لا يوجد تعارض بين الدين والفلسفة، فالفلسفة منهج تفكير في العقل، بينما الدين هو إيمان واعتقاد في القلب.

بالإضافة الى التدين الزائف، لأنه منظور يهدف الى تحقيق غاية، ويكون دائما معتمدا على الواسطة -رضا الامير أو الشيخ أو الرجل الدين- والذي يزحف خلفه الرياء والمديح وتمجيد العموم لهذا المتدين الزائف، إن كان عالماً أو داعية او مفكراً إسلاميّاً.

لذلك نحن بحاجة الى اصلاحات في قرائتنا للعقيدة ومراجعتها من جديد بطريقة علمية ومنهجية وفلسفية لا تخرج عن الوحي، لكي تتماشى مع روح العصر.

أما عن الكاتب النسونجي والإباحي -العربي- فمهما بلغت فطنته وبلاغته فهو ليس مثقفاً، فضلا على أن يكون مصلحاً في الأساس!

إن المثقف لغة هو المُقوّم والمستقيم، فأنت عندما تُقوّم إنسان فأنت تثقفه، من الفعل (ثقَّف) فيقال: "ثقّف الشيء" أي قومه وجعله مستقيمًا أو ومستويًا. وعندما نقول: "رُمح مثقف"، أي: "مستوي، مستقيم".

إمام الشعراء في العصر العباسي "بشار بن بُرد" كان يقول عن الملوك إذا صعّروا خدودهم: "أتينا إليهم بكل مُثقف"، أي: "بكل أداة مستوية مستقيمة كي نُقوّمه ونعدله ونوازله بها".

والأديب والعالم " الحسين بن محمد بن المفضل" المشهور ب" راغب الاصفهاني"، -وهو أحد علماء مسلمين في القرن الحادي عشر في التفسير السائد للقرآن باللغة العربية- كان يقول: "تقويم الشيء = تثقيفه".

إذن، المُثقف هو المُقوّم. وهذا يجعله ناقدا، لأنه يقوم على تقويم الشيء، فبالضرورة أنه يمارس النقد، على المجتمع أو الكتاب أو أي كان، فالكاتب أو الروائي أو الأديب مثلا إن لم يكن ممارساً للنقد فهو ليس مثقفاً، فكيف يكون مُصلحاً؟!

هل المثقف المُصلح يجب أن يكون بالضروره أخلاقي؟

هناك من ذهب من الأدباء ومن له علاقة بالأدب بتحديد مفهوم "المثقف" على أنه وصف "محايد"، فلا يشترط أن تكون كاتبا مثقفاً أو شاعراً مثقفاً أو مفكراً مثقفاً أو عالماً مثقفاً أن تكون أخلاقياً، ولا علاقة لوصفه بالمثقف بالمديح أو الذم، وهذا غير صحيح من وجهة نظري! بدليل أن كلمة "مثقف" تعني لغة: "مُقوم"، اذن المثقف هو الذي يمارس فعل التقويم والإستقامة، وهذا يتطلب بالضرورة أن يكون مستقيماً ومستوياً أخلاقياً، لذلك من لا يتحلى بالقيم والأخلاق هو ليس مثقفاً! فكيف يكون مُصلحا؟!

إن الثقافة لا تقتصر على وفرة المعلومات فقط، بل على دورك الأخلاقي أثناء نفعك وتقويمك للمجتمع، والذي لا يقوم الا بالأخلاق النبيلة، وهذا هو دور المُصلح الثقافي، ولذلك وصف الصحابة أنهم "مصاحف تمشي على الارض"، ووصف نبينا محمد -صلوت ربي وسلامه عليه- بأنه "كان خلقه القران".

لذلك، المثقف المُصلح ليست هواية، وإنما مسؤولية، فهو مسؤول بإصلاع المجتمع، عبر الإصلاح المعرفي والأخلاقي له، لأنه ينشغل بتشخيص الواقع وإصلاح الافساد الفكري والاخلاقي فيه.

فكيف لكاتب نسنوجي يضخ المفردات والكلمات والمفاهيم الإباحية والخادشة للحياء أن نصفه بالمثقف المصلح؟! بل هو بعيد كل البعد على أن يكون كاتباً ثَقِفاً ومصلحاً، لأنه هادم لكل قيمة أخلاقية تنهض بالأجيال!

ولذلك نحن بحاجة إلى إصلاح أخلاقي.

بالإضافة، نحن -العرب- لم ننتج نظرية علمية ومعرفية جديدة، فمن بين كل علماء الكوكب الذي حصدوا جائزة نوبل في العلوم وعددهم ٥٠٠ تقريبا، لم يكن نصيبنا نحن العرب منها سوى ٤علماء فقط حصلوا عليها، وهم:

- **بيتر مدور (لبنان - أصول) :**حصل على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٦٠ مناصفة، لاكتشافه "التحمل المناعي المكتسب"، وهو العربي الوحيد الذي نال نوبل في الطب.
- **عمر ياغي (الأردن/فلسطين) :**فاز بجائزة نوبل في الكيمياء لعام ٢٠٢٥ (مشاركاً) لتطويره "الأطر المعدنية العضوية(MOFs) "، وهي هياكل جزيئية مبتكرة تستخدم في تخزين الغازات، تجميع المياه من هواء الصحراء، وتحفيز التفاعلات.
- **إلياس جيمس خوري (لبنان - أصول) :**حصل على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٠ لتطويره نظريات ومنهجيات جديدة في التركيب العضوي.
- **أحمد زويل (مصر) :**حصل على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩ لأبحاثه الرائدة في مجال "كيمياء الفيمتو(Femtochemistry) "، حيث ابتكر تقنية لتصوير التفاعلات الجزيئية باستخدام الليزر في زمن متناهي الصغر.

ولذلك نحن بحاجة إلى بناء المراكز العلمية، وصرف الاموال على الابحاث العلمية، وعجبي أن الاحتلال الإسرائيلي يصرف ٩ مليار دولار سنويا على الأبحاث العلمية، ونحن العرب والمسلمون مجتمعين نصرف ٠,٣ دولار في السنة عليها ؟!

لذلك، نحن بحاجة إلى إصلاح فكري.

ناهيد أننا بحاجة إلى التعب على اللغة العربية، فمن لا يرفع من شأنها فعليه أن يتنحى ويعتزل الثقافة والكتابة الى الأبد، لأن اللغة العربية هي حاملة الفكر، بل ذهب الفلاسفة الى القول بأن اللغة هي الفكر، فكيف لا واللغة العربية هي لغة القرآن؟!

كما أننا بحاجة الى التعب على التعليم (التعليم التحليلي والنقدي والتاريخي والغائي) وليس تعليم البغبغاوات وتحصيل الدرجات!

أما عن إصلاح المُثقف، فسأتحدث في بند واحد فقط، ألا وهو النقد، ويكون بنقد الذات ثم نقد الاخر، نقد التراث الديني، ثم نقد التراث الغربي، والتوليف بينهما -إن أمكن ذلك وفيه فائدة- من أجل تشييد منهج جديد يتلائم مع روح العصر، ولكن تحت مظلة القران، مع العلم أن -كل التفاسير القديمة في القران لا تُصلح اشكاليات عصرنا في القرن ٢١- ففي الفقه السياسي القديم لم يكن هناك وجود للاشتراكية، الثيوقراطية، الرأسمالية، الشيوعية، لذلك نحن بحاجة الى فقه سياسي جديد.

وعلي أن أنوه أنه اذا كانت الثقافة عرجاء، فإننا سننتج معرفة عرجاء، واذا كانت المعرفة عرجاء، فإننا سننتج مجتمعات عرجاء (كما قال هيجل).

ألم يُروى عن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: "أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه ـ فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه".

ولكي يتعلم المجتمع التفكير النقدي عليه أن يتعلم كيفية الكتابة، لانه لا يوجد فرق بين التفكير والكتابة، إن الجامعات والمدارس تعلمنا كيفية الكتابة للحصول على الدرجات والعلامات، بينما الحقيقية التي تنطوي تحت تعلمنا كيفية الكتابة هي أنها تعلمنا كيفية التفكير.

في رسالة إلى فيتا ساكفيل ويست، تكتبُ أيقونة الأدب الحديث للقرن العشرين، الكاتبة الإنجليزية "فرجينيا وولف" تقول:

"أعتقد أن الأهم عند البدء في روايةٍ ليس أن تشعر أنك قادر على كتابتها، بل أن تحسَّ بأنَّها موجودة على الجانب الآخر من هوّةٍ لا تستطيعُ الكلمات أن تعبرها؛ وأن المرء يمكنهُ أن يجذبها نحوه، أي تُسحب عبر أنفاسٍ متقطعة".

أما عن فنُّ الكتابة، فقد تحدث الروائي البرتغالي "جوزيه ساراماغو" الحاصل على جائزة نوبل في الأدب قائلا:

(تقنيتي في الكتابة الروائية، أو لعلّي أفضِّلُ أن أقول ''أسلوبي"، ينبعُ في جوهره من مبدأ أساسي مفاده أن كل ما يُقال مُعدٌّ لأن يُسمع. ما أعنيه بذلك هو أنَّني حين أكتبُ أرى نفسي ''راويًا شفهيًّا"، وأنَّ الكلمات التي أسطرها مقصودة بقدرٍ متساوٍ لأن ''تُقرأ وتُسمع". فالراوي الشفهي لا يستعينُ بعلامات الترقيم، فهو يتحدَّثُ كما لو كان "يؤلِّفُ موسيقى"، مستعملًا الأدوات ذاتها التي يستخدمها الموسيقي: النغمات والسكتات، المرتفعة والمنخفضة، الطويلة والقصيرة. أما تلك الاتجاهات التي أقِرُّ بها وأتمسَّك بها، كالتركيب الباروكي، والإيقاع الدائري، والبُنى المتناظرة، فأظنُّها نابعةً من رؤيةٍ للخطاب الشفهيّ باعتباره شكلًا من أشكال الموسيقى، وأتساءلُ أحيانًا إن كان ثمة أكثر من مجرَّد مصادفة بين "تفكُّك الخطاب الشفهيّ المعاصر" و" النَّزعة التبسيطية في الموسيقى الحديثة"، فكلاهما يقومُ على التجزئة، والانقطاع، والإيماء أكثر من الإفصاح).

كما وقد تحدث الكاتب الكولومبي " جابرييل جارسيا ماركيز" ذات مرَّةٍ في فن الكتابة قائلا: (إنَّ كل كاتبٍ، مهما كان غزير الإنتاج، لا يكتبُ في الحقيقة سوى

كتابٍ واحدٍ، ثم أضا أن كتابه هو رواية "مئة عام من العزلة". في رأيي أنَّ الكُتَّاب يكتبون لأنَّنا ببساطةٍ شديدةٍ لا نريدُ أن نموت. لذلك أقول إنَّ الكتاب الذي نصرُّ على كتابته، سواء أكان في صورة كُتبٍ متعددة أم في كتابٍ واحدٍ جامعٍ، هو في جوهره "كتاب البقاء". ومع ذلك، من البديهي أننا نخوضُ معركةً خاسرةً، "فلا شيء ينجو في النهاية").

وأيضا تحدث الكاتب النمساوي "بيتر هاندكه" الحاصل على جائزة نوبل للآداب للعام ٢٠١٩ فيها يقول:

"ما يدفعني دائمًا إلى الإنجاز هو أن أحلم، قبل أن أبدأ الكتابة. أعيشُ حلم الكتاب، وحلم الرحلة، وحلم المغامرة. ثم أحيانًا، في نهاية اليوم، حين أنتهي مما كتبت، يعود إليَّ ما كتبتهُ كبحرٍ غريبٍ. إنه شعورٌ شديد الجمال، فالكتابة تعودُ إليك أحيانًا كموجةٍ خفيفةٍ من السعادة. أحيانًا فقط، ليس دائمًا!".

ونثرت الكاتبة والروائية البريطانية " دوريس ليسنج" الحازت على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٧ في فن الكتابة تقول:

"يجب أن تكتبَ، أولًا وقبل كل شيءٍ، من أجل نفسك، ولا ينبغي أن تبالي إطلاقًا بما يظنُّه الآخرون .كما أنَّ الكتابة لا يمكنُ أن تكون أسلوب حياة؛ فالجزء الأهم في الكتابة هو "الحياة نفسها"، وعليك أن تعيشَ بطريقةٍ تجعلُ الكتابة تنبثقُ من حياتك".

أما عن تقنيات الكتابة، فقد تحدث الأديب الألماني "جونتر غراس" قائلا:

(يرتبط الأدب عادةً بمسافةٍ زمنيةٍ، لأنَّه يُكتب بلسان الماضي. لكنني أعلم أن بعض الكُتَّاب الألمان، مثل فونتانه، كتب روايته الأخيرة "السيد شتِخلين"، وكذلك "السيدة جيني ترايبل" في تزامنٍ مع الأحداث الجارية، وتحمَّل في المقابل غضب النُقَّاد المعاصرين له، فعندما يكتبُ الكاتب وهو في قلب اللحظة، من دون مسافةٍ زمنيةٍ تفصله عنها، يصبح مكشوفًا بشدةٍ أمام النقد الآني. ومع ذلك، فهذه مجازفةٌ لا بد من تحمُّلها. ومن هذا التوتر المزدوج، أكتبُ وأنا أعيشُ الحاضر، وفي الوقت نفسه أواجهُ ثِقل الماضي وتبعاته، ومن هُنا تُولدُ أعمالي) .

وفي فعل الكتابة يقول الكاتب والروائي البريطاني "چوليان بارنز":

"ومن الطبيعي نسبيًّا أن تمارسَ فنًّا تفسيريًّا، لكن أن "تخترعَ عوالم من خيالك"، فذلك أمرٌ لا يتوارثُ في العائلات عادةً، ولا يوصي به مستشارو المهن في المدارس. تتدَّفقُ الكلمات واحدةً تلو الأخرى، في تسلسلٍ صارمٍ، بدافع أشبه بالحاجةِ العضوية.. الكتابة مثل الورم السرطاني.. تنمو وتنمو دون توقف حد الموت"

وهذه بعضٌ من نصائح الكاتب الأمريكي "ويليام فوكنر" الحائز على جائزة نوبل في الكتابة :

-لا تكن كاتبًا، بل اكتب .
-أن تكون كاتبًا يعني أن تظلُّ ساكنًا، وجامدًا. أمَّا الفعل "تكتب" فيدلُّ على حركةٍ، ونشاطٍ، وحياةٍ. فحين تتوقف عن الحركة، تكون قد متُّ .
-لا وقتَ مبكرًا أكثر من اللازم لتبدأ الكتابة؛ ابدأ منذ أن تتعلَّمُ القراءة.
-ابقَ هاويًا. فلا تكتبْ من أجل المال، بل من أجل المتعة.

وهناك مقولة شهيرة تركها الكاتب الأرجنتيني "خورخي لويس بورخيس" والتي كثيرًا ما يتناقلها الناس، حين قال: "كل كتابٍ عظيمٍ وخالدٍ لا بد أن يكون غامضًا".

أما بالنسبة لي -العبد الفقير الى الله- فأجد الكتابة كما قالت الكاتبة الأمريكية "جيرترود شتاين" حيث كتبت تقول: "الوردة وردة هي وردة،" أو "الوردة وردة وردة وردة وردة ، ولكني أضيف على ما قالته وأقول: "الكتابةُ هي الكتابةُ، كما أن الوردة هي الوردة".

إن الكتابة تشبه النحت إلى حدٍّ ما. ففي النَّحت عليك أن تعمل على القطعة من جميع الجوانب؛ فإن غيَّرت شيئًا هنا، وجب أن تغيّر شيئًا هناك. وفجأةً، حين تعدِّل سطحًا واحدًا فقط، يتحوَّلُ العمل إلى شيءٍ نابضٍ بالحياة، كأن للمادة موسيقى خاصة بها. ويحدثُ الشيء نفسه أحيانًا مع الكتابة.

وأختم هذه الجزئية حول فعل الكتابة وفنه وفلسفته، وأقول:

"الكتابة ليست وسيلة للتحرر، وإنما لفهم الإشكالات التي تقودنا في نهاية المآل للتحرر".

٠الفصل السابع٠

من هو المثقف؟ أنواعه؟ شروطه؟

المصطلحات التي تنطوي تحت جناح المعرفة تنقسم الى ثلاثة أقسام:

- مصطلح ظهر في التراث الاسلامي، وله لفظ ودلالة، كالمفتي، المجتهد، الفقيه، العالم، المُحدّث.
- مصطلح ظهر في التراث الاسلامي، وله لفظ لكن ليس له دلالة، كالمثقف.
- مصطلح ليس له أثر في التراث الاسلامي، كالإشتراكي، الشيوعي، الليبرالي، الرأسمالي.

من هو المثقف؟

المثقف هو تعريف اشكالي كبير..

أستاذ اللسانيات والفيلسوف الأمريكي الشهير "نعوم تشومسكي" يعرف المثقف بأنه: "هو كل من يحمل الحقيقة في وجه القوة".

أما الفيلسوف والروائي الفرنسي " جون بول سارتر" عرف المثقف بأنه: "هو الذي يُدخل أنفه في ما لا يعنيه".

أعتقد أن تعريف المثقف يكون حسب دوره في الجريان المجتمعي الزمكاني المتغير، حيث يتحدد نموه أو ينهض نشاطه بمقدار الوعي والفكر، وبحضور نهضة ملحوظة للقيم وللجانب الأخلاقي، فالمثقف إن لم تكن غايته السلوك فهو ليس مثقف، حتى لو استوت فيه كل الشهادات، وعُلقت على أكتافه كل النجوم والدرجات.

أيضا من سمات المثقف أنه مشتبك مع مجتمعه وناقد له، كما أنه ناشر للوعي وقبلة للعموم.

أيضا من خصائص المثقف أنه موقف وليس مهنة، كما قال الفيلسوف والروائي والكاتب المسرحي الفرنسي "جون بول سارتر"، فهو الذي ينطق بالحقيقة ويستطيع حملها، وكما قال أستاذ اللسانيات والفيلسوف الأمريكي "نعومي تُشُومِسْكِي".

وقد يكون أحد تعريفاتي للمثقف هو من يمارس النقد والأدب بعيداً عن ميدان اختصاصه، ومن له ذائقة واسعة بمعظم مشارب العلوم، على شرط أن يكون متواضعاً وأخلاقيّاً ومؤدباً مع الله سبحانه.

الكاتب الروسي الشهير "أنطون تشيخوف" كتب حول ذلك يقول: "هكذا يكون المثقفون. لكي تكون مثقفًا ولا تتخلف عن البقية، لا يكفي أن تقرأ أوراق نادي بيكويك أو تحفظ عن ظهر قلب مونولوج فاوست، بل إن ما تحتاجه حقا هو العمل باستمرار ليلا نهارا وأن تقرأ باستمرار. كل ساعة تمر تعد ثمينة، عش مرتاحاً وتخلص من غرورك."

في القرن ٢ هجري كان الجاحظ عالم موسوعي -يُعلّم ويكتب في مجالات عديدة- وكذلك الأمر بالنسبة للفارابي، والكندي، وأبو الريحان البيروني، وابن سينا، والحسن بن الهيثم، والغزالي، وابن تيمية، وابن القيّم، وابن رشد، وابن خلدون، كلهم كانوا موسوعيين، بالاضافة الى قائمة كبيرة من العجم، وعلى رأسهم الفلاسفة اليونانيين "سقراط، أفلاطون، أرسطو".

مع التنويه أن النخبة المثقفة ليس من لديهم غزاره بالمعلومات فقط، بل من يحملون الوعي وينشرونه، ويجب أن يكون عقل المثقف أكبر من علمه لكي يشيد فلسفته الخاصة به، أما اذا كانت المعلومات أكبر من عقل المثقف، فإنه سيتحول إلى ريبوت آلي، أو ببغاء يثرثر بما يحفظه وفقط.

هناك نماذج كثيرة غادرت ميدان اختصاصاتها كتشيخوف، توفيق الحكيم، نوال السعداوي، نجيب محفوظ، مصطفى محمود، وأبدعت في مجال الأدب والثقافة، ولكن يبقى اسم المثقف معلقا حتى تستوي فيه الذلاقة الأخلاقية -وخصوصا مع الله سبحانه- لأن المثقف غايته السلوك، والسلوك هو اللبنة الاساسية لكي ننهض بجيل أخلاقي طبيعي، وليس فاسدا وشاذا، لذلك لا أجد نوال السعداوي -على سبيل المثال- مثقفة، لأنها كانت وقحة وغير مهذبة مع الله سبحانه وتعالى!

لقد قامت السعداوي بشخصنة الله عز وجل -تعال سبحانه عمّا يصفون- وقامت بأنسنته، حيث استفهمت تقول: (لماذا عبر الله عن نفسه ب "هو"؟ وليس "هي"؟ ثم ادعت أن الله هو "ذكر" الجنس، لأنه نعت نفسه بضمير "هو" في سورة الاخلاص، وردت باستهزاء هي على ذلك بقولها "قل هي الله أحد"، وأضافت بأن الله منحاز للذكورة في مسألة الميراث والقوامة والتعدد وغيرها).

وأنا أتسائل: (كيف يمكن اعتبار نوال السعداوي قدوة أو صاحبة منطق وفكر وحجة دامغة؟ أليس الفكر يؤشر على صاحبه! نوال السعداوي التي اجترأت على الذات الإلهية؟! واتهمت الله سبحانه بالذكورية عندما قالت بحقه سبحانه أنه "ذكر" وعيّنت جنسه أنه "ذكر"، معلّلة ذلك بأنه خاطب نفسه في سورة الاخلاص بضمير "هو" ولم يقل "هي"، واستخدمت ذلك ذريعة في انتصار الخالق ووقوفه الى جانب الذكورة، فشجع التعدد، ومنح الذكر في الميراث مثل حظ الأنثيين، وجعل القوامة بيده، وغيرها، فكانت سببا مباشرا في التّأثير في المجتمعات سلباً، وصياغة الدور الجندري والأيدلوجية النسوية والتي كانت المحرك نحو إفساد ثقافة الجيل بأكمله وتدميرها.

لقد رأينا كيف أنّ الحراك النسوي قد عرّى واقعنا المرير، فدمّر الأسر، وعمل على تشييء المرأة وضياع الجيل، والتي ساقت الأمة في النهاية نحو الإنحطاط الإنساني، بظهور ما يعرف بمجتمع الميم "LGBTQIA +"، جيل يعانون من اضطراب الهوية "Gender Dysphoria"، وظهور أفراد يشعرون بمزيج من الجنسين، أو بجنس مختلف تماماً، أو بانعدام الجندر، ويطلقون عليهم "Non-binary" أي: "غير معرفين جنسياً"، أو "غير ثنائي الجنس"، كما وقد ساهم الحراك النسوي والجندرية ببروز أنواع عديدة من الهويات الغير ثنائية كسلسو الجندر"Genderfluid"، وثنائيو الجندر"Bigender"، أو لا جندريون"Agender" ، أو جنس غريب "Xenogender"، وبتجلي المتحولون جنسياً "Transgender"، والمغايرون جنسياً "Heterosexual/Straight"، انتهاء الى انتشار الطامة الكبرى ألا وهي الشذوذ الجنسي "Homosexuality"، ما يُعرف بالمثلية الجنسية، والتي تنقسم الى ثلاثة أصناف: اللواط "Gay" وتعني انجذاب الرجال للرجال، والسحاقية "Lesbian" وتعني انجذاب النساء للنساء، ومزدوج التوجه "Bisexual" وتعني من ينجذب للجنسين.

ناهيد عن الإنحطاط الفكري والثقافي المتمثل بظهورالملحدين "Atheists"، واللاأدريين "Agnosticism"، والمهرطقين والزنادقة "Heretic" ، بدلا من أن يكون هناك فرصة عربية وإسلامية للنّهوض الحضاري.

وعليه، فإنني أرى أنه من واجبي أمام الله سبحانه ودينه والناس أجمعين، أن أجيب على كارثة السعداوي ومجمتع الفيمينزم "الفيمينست Feminism"، وكل الكتاب والأدباء النسويين والنسويات، على مسألة شخصنة الله وتحديد هويته التي غيرت

فيها السعداوي وأمثالها وأنصارها الوجه الفكري والثقافي والديني للمجتمع وللجيل وشوهته:

علينا أن نعلم أنه في بعض معتقدات الحضارات الدابرة كانت الآلهة أنثى، كإلهة الأرض "غايا" وهي التي تمثل "الأرض" في الميثولوجيا الإغريقية، و"هيرا" وهي التي تمثل "النساء والولادة" في الميثولوجيا الإغريقية أيضاً، و"عشتار" إلهة "الحب والجنس" والتي عبدها الأشوريون في حضارة بلاد الرافدين.

والجميع يعلم أن هناك "الذكور" والتي أُخذ منها الجنس الذكري، وهناك "الإناث" والتي أخذ منهن الجنس الانثوي، ولكن الله تعالى ليس جنس، فليس هناك آلهة عديدة كي يؤخذ منها جنس الآلهة! أو كي ينتخب نفسه على رأسهم؟! لذلك قال الله تعالى (أحد) ولم يقل (واحد) بل قال: "قل هو الله أحد"، لأنه لو قال: "قل هو الله واحد"، هذا سيؤكد أنه من جنس الذكورة، لأن واحد في اللغة والضمائر تقابلها واحدة،

لذلك قال: "أحد"، لينفي -سبحانه- مسألة الجنس البيوليجي والإجتماعي عن نفسه، بمعنى أنه لا يوجد مجموعة من الآلهة لكي يصطفي الله نفسه منهم، أو لينتخبوه هم عليهم "حاكما، لذلك، الله ليس جنس من الأساس، لأنه عبر عن نفسه ب "أحد"..

إذن، لماذا عبر عن نفسه بالضمير الذكري "هو"؟!

الجواب هو اللغة العربية، قال تعالى في سورة يوسف: "إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، وفي آية أخرى: " وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا"، اذا هذا يعني ان الصيغة الحقيقية للقرآن لا يعلمها الا الله، ولكنه أنزله باللغة العربية، لأنه قال في اية أخرى "وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا" أي بلغة غير عربية، وهذا يؤكد على ان الله ليس عربيّاً، بالإضافة إلى أن لغة القران المطلقة عند الله ليست عربية، لكنه سبحانه أنزله باللغة العربية، لأن محمد –صلى الله عليه وسلم- عربي، ولأنه أُنزل على العرب، والذين كان لديهم ملكة اللغة العربية من الفصاحة والبيان والمنطق والشعر وغيره.

واللفظ عند العرب مقسوم لقسمين، "مؤنث ومذكر فقط"، والسبب باستخدام الله سبحانه لضمير الذكوره "هو" في سورة الاخلاص هو لغوي بحت، فالضمير "هي" يستخدم للأنثى فقط، لكن الضمير "هو" يستخدم في ثلاثة حالات، "للمذكر، وللمجهول، ولعديمي الجنس ".

ولو أخنا هذا المثال على المذكر، "رُميت الكرة في وجه محمد"، لو سألت: "من الرامية؟"، فمن كلمة "رامية" في اللغة العربية وهي كلمة مؤنثة لفظاً، يضح لنا أن الرامية أنثى، لكن لو سألت: "من الرامي؟"، فمن كلمة "رامي" في اللغة العربية

وهي اسم فاعل للمذكر، فهناك ثلاثة احتمالات، إما أن يكون ذكر، أو أنثى، أو عديم الجنس، لماذا؟ لأنه مجهول الهوية، ولذلك يطلق الضمير الذكري على مجهول الهوية في اللغة العربية، لأنك لا تعمل هويته، ولقد بينا آنفا أن الله سبحانه لا هو ذكر ولا أنثى، وليس لديه جنس من الأساس، إذن، هو عديم الجنس ، والله تعالى وصف نفسه قائلا: "ليس كمثله شيء"، لذلك خاطب نفسه بضمير "هو".

عندما يقول الله تعالى في القران الكريم: "قد أفلح المؤمنون" بصفة المذكر، نعلم هنا أن المؤمنون قد يكونوا من الذكور او الإناث، لكن عندما يقول تعالى: "مؤمنات"، نعلم يقينا أنهن إناث فقط.

إمام النحاة "سِيبَوَيْهِ" وهو أول من بسّط علم النحو، عندما تحدث عن تصنيف (الشيء) قال: "الشيء بحد ذاته هل هو ذكر أم أنثى؟"، فأجاب: "لا ذكر ولا أنثى"، إنه: "محايد".

و"الله" تبارك وتعالى "بذاته" لا هو أنثى ولا ذكر ولا بينهما، وليس جنس من الاساس.

كما أن هناك بعض المشايخ والذين قاموا بشخصنة الله سبحانه أيضا، وأنا جلست مع أحدهم، والذي يتبنى احدى التيارات الاسلامية في المسجد، قال لي بالحرف: "الله له يدين اثنتين -كيد الانسان- ولكن كلتا يديه يمين، ولا يوجد له يد يسرى"، مستشهدا بحديث ورد في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن المقسطين عند الله على منابر من نورعن يمين الرحمن عز وجل ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا.

وهذا ليس ببعيد عن الفيلسوف الهولندي " باروخ سبينوزا" الذي تحدث عن الله كروح تطير في الكون، أو كمعنى أو قانون مكتوب في تضاعيف الكون، ولكن ليس كذات، وهذا اسقاط بشري عن مفهوم الاله، وكأن الله ليس ذات، وليس له وعي بذاته، وهذا حديث مغلوط، فكيف يعي الله ذوات غيره وهو لا يعي ذاته من الاساس؟! لذلك الله ذات.. ولكن ليس كذواتنا، ولا نعلم عن كنهه شيء، ونحن عندما نرفع أكف الدعاء له، فإننا نناديه كمعنى، وهو يلبي ندائنا كذات.

ولكي أكون واضحاً في هذه المسألة، فإنه لا يمكن أبداً ويستحيل تشبيه الّلا إنساني بالإنساني؟!

التفكير الانساني يعتمد على المقارنة، ونحن ذات والله ذات، ونحن شيء والله شيء، ولكن لا يمكن أن تقاربه كذات، أو أن تقاربه كشيء، لأنني لا أعلم عن كنهه شيء،

ولأنه ليس كمثله شيء، وليس كمثله ذات، لذلك لا يمكن أن تقاربه كذات، ولكن يمكن أن تقاربه كمعنى، من خلال أسمائه وصفاته، فلو أخذنا صفة "الجميل"، بأن الله سبحانه هو الجميل، فإننا يمكن أن نقيس هذا الجمال على الكون وما فيه من الخلائق نسبيّاً، ولكن الجمال المطلق هو لله عز وجل، على أن مفهوم الجمال المطلق لا يمكن تعييره أو مقاربته مطلقاً.

لكن يستحيل تشبيه الّلا إنساني بالإنساني! ومقاربة الله كشيء أو كذات يهوي بالانسان في التجسيم أو التأنيس "الانثروبومورفيزيم"، أو في الوثنية "Paganism".

ولكي أنهي هذه الحركة الجدلية من الاساس -والتي هي بنظري يقينية- سأطرح هذا السؤال: "هل تعلم السمكة التي تسبح في البحر ولو أدنى معلومة عن أن هناك مخترع أمريكي اسمه توماس اديسون؟"، بالطبع لا، لأن حدود معرفتها في قلب البحر الذي تسبح فيه.

اذن، من هو الله؟

الله هو الرب والإله، الخالق، المعبود الأوحد والأقدس، له الأسماء الحسنى والصفات التامة، و هذا السؤال في صلب اللاهوت.

وما هو الإله؟

هنا نتحدث عن منطق ولاهوت.

فمثلا، لو سألأت: "ما هو الحمار؟"، الحمار "مصداقه" في الخارج واحد، ولكن مفهومه متعدد، ولديه آلاف من التعريفات، فقد يعرفه أحدهم بأنه "كائن أليف"، "كائن غير ناطق"، "كائن غرائزي"، "كائن عنيد"، "كائن ذكي" .

هذا الحمار لديه مفهوم الحمار، لكن -هذا الحمار بعينه- ليس الحمار، فهذا الحمار هو أحد مصاديق الحمار، لكن الحمار كحمار لا يوجد في الخارج، وإنما في الذهن، لأن "الحمار" مفهوم كلي، والكليات هي مفاهيم منطقية، عروضها واتصافها يُخلق في الذهن.

اذا كان مفهوم "الحمار" وتعريفه عملية صعبة للغاية، فكيف بمفهوم "الله" عز وجل! إن هذا يعيدنا الى سؤال "ما هو الإله".

تعريف الماهيات ("الماهية = الوجود أو الذات أو الهوية"، وتحدد بالجنس والفصل القريب) يكون بالجنس القريب والفصل القريب لها، فهل "الله" سبحانه له جنس كي

نعرّفه؟ هل هناك بساتين من الآلهة "آلهة كثيرة" نستخرج منها الفصل، بمعنى "نفصل بين اله، واله اخر؟"، كلا، هو اله واحد أحد لا اله الا هو، لا ماهية له بهذا المعنى، وبالتالي لا جنس له، و اذا كان الله لا جنس له، فهذا يعني أنه لا فصل له.

عندما طلب نبينا موسى -عليه السلام- رؤية الله عز وجل، أجابه الله سبحانه (لن تراني) ولما تجلى ربنا خرّ موسى صعقا، وقال "آمنت" وهذا يعني أن مسألة ذات الله وكنهه وماهيته عائدة الى الإيمان وليس للمنطق، وطلب رؤية الله كذات هو قدح في جوهر الايمان به، لأن الله بكل بساطة لا يمكن رؤيته، قال تعالى: "لا تدركه الابصار"، أي: "لا يُمكن أن يُرى لأنه ليس محدودا".

اذن.. كيف نُعرّف الله؟

عبر مخلوقاته ومصنوعاته وموجوداته.

سؤال آخر: (لماذا نجد الله -سبحانه- يخاطب نفسه تارة بصفة الفرد "أنا" وتارة بصفة الجمع "نحن"؟).

لماذا قال عن نفسه -جل في علاه- في احدى المواضع في القرآن الكريم "أنا" بلفظ مفرد؟ كقوله تعالى في المفرد: "انني انا الله لا إله إلا أنا" الآية رقم ١٤ من سورة طه، وفي موضع آخر "نحن" بلفظ الجمع؟ كقوله تعالى: "انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" الآية رقم ٩ من سورة الحجر. وهل يعني ذلك أن هناك العديد من الآلهة؟

استخدام لفظ الجماعة في اللغة العربية يأتي ذكره لحالتين، الأولى: "للجماعة"، كجماعة من الناس، والثانية: "للتفخيم، ولإظهار عظمة الفرد"، كقول ملك الأردن مثلا: "قررنا نحن جلالة الملك عبدالله الثاني المعظم بالعفو عن القاتل".

عندما يريد سبحانه أن يشير إلى ذاته، فإنه يستخدم لفظ المفرد، كقوله تعالى: "انني أنا"، ولكن عندما يريد أن يشير سبحانه إلى أفعاله، فإنه تعالى يستخدم لفظ الجمع، كقوله تعالى: "وإذ قلنا للملائكة".

إنني أرى أن المثقف ليس اضافة اعتباطية، كما أنه ليس قدوساً ومنزهاً عن الإنتقاص، فمنهم من كان مكمن للخلل وموضع للدّاء كنوال السعداوي، لذلك وجب التبيين.

يقول غرامشي: (جميع الناس مثقفون لكن وظيفة «المثقف» في المجتمع لا يقوم بها كلّ النّاس).

إن الكاتب المثقف هو طبيب، يشخص حالة الكسل العربي المعرفي والفكري والأخلاقي ثم يقوم بتقويمها، ومن وجهة نظري فإنني أظن أحيانا أنه يتجاوز الطبيب بمسافات فلكية، لسبب بسيط، وهو أن الخطأ العلمي أو الطبي يقتل الإنسان، بينما الخطأ الثقافي يقتل أمة وجيل بأكمله، الطبيب قد يخطأ في اجراء العملية فيقتل المريض، بينما المثقف اذا أخطأ فإنه سيودي بحياة الأمه بأكملها. وبالتالي أرى أن الخطأ الثقافي أعظم من الخطأ العلمي والطبي.

أنواع المثقف:

- المثقف المروج، وهو الذي يُشغل المجتمع بقضايا لا تنفعهم، كقضية المهدي المنتظر، وقضية يأجوج ومأجوج، وأين سيظهرون ومن أين سيأتون.
- المثقف الثابت، هو الذي ينظر الى كل مشكلات المجتمع من زاوية واحدة، ويقوم على الشروع بحلها من نفس الزاوية، ولا ينظر اليها من زوايا اخرى! كإلقاء اللوم على الاحتلال الاسرائيلي في كل القضايا والمسائل، علما أن المجتمع العربي والإسلامي هو فوضوي، ولا علاقة للاحتلال بعشوائيته.
- المثقف الميت، هو الذي لا ينتفع أحد بثقافته، ولا يستفيد المجتمع منه بأي شيء.
- المثقف الغربي، هو الذي يستقطب علم وأفكار الغرب فقط، ويلقي باللوم على التراث الاسلامي انه السبب في تخلف العرب والمسلمين.
- المثقف التاجر، هو الذي ينشغل فقط لاسمه، ولكي يصبح مشهوراً وأيقونة لا تُنسى.
- المثقف المنافق، هو الذي ليس له موقف أو مبدأ، وتجده يسرف في المجاملات فقط من أجل بناء العلاقات والحصول على درجة أو كرسي أو منصب، أو من أجل أجندة معينة.

في زماننا أصبح الحصول على لقب المثقف أو المفكر أو المهندس أو الدكتور من أجل الصيحة أو الموضة، فلكي يأخذ الإنسان شرعية الحديث مع العموم فإنه يقوم بالتقديم لشهادة الماجستير أو الدكتوراة، من أجل الحصول عل لقب الدكتور أو العالم أو المثقف أو المهندس او المفكر او الكاتب أو الأديب او الشاعر، لكي يحظى بالإنتفاخ والتقدير.

كان العرب في السابق ينعتون الرجل الذكي ب"الثّقِف"، المفسر الشهير للقرآن الكريم "القرطبي"، كان يفسر كلمة "ثَقِف" ب"المُدرك بالشيء والمحيط له"، أما الأديب والعالم الإيراني "راغب الاصفهاني"، فكان يفسر كلمة "ثَقِف" ب"الحاذق في إدراك الشيء".

الصحابي "عبد الله بن أبي بكر الصديق"، شقيق سيدتنا "عائشة بنت أبي بكر" رضي الله عنها، كان يوصف في البخاري بأنه رجل ثَقف، أي: "ذكي".

شروط المثقف:

- أن يكون له اضطلاع على الساحة الثقافية العامة بشتى المجالات (العلمية، الدينية، الأدبية، السياسية، وغيرها)
- الممارسة النقدية للمجتمع.
- أن يوزع الإنتاج الفكري والمعرفي على المجتمع للنهوض به.
- أن يكون أخلاقي، لأن غاية المثقف السلوك.

وفي هذا يقول الدكتور "محمد عابد الجابري" رحمه الله: "يتحدّد وضع المثقف لا بنوع علاقته بالفكر والثقافة، ولا لكونه يكسب عيشه بالعمل بفكره وليس بيده، بل يتحدّد وضعه بالدّور الذي يقوم به في المجتمع كمشرّع ومعترض ومبشّر".

الفرق بين المثقف العضوي والمثقف:

تحدث الفيلسوف والمناضل الماركسي الإيطالي "أنطونيو غرامشي" عن المثقف العضوي، وهو الفاعل بالحيوية، والذي يتفاعل مع الكتلة الاجتماعية والأمة التي يريد اصلاحها.

والفرق بين المثقف العضوي والمثقف، هو أن الأول ينتج ويمارس، والأخير ينتج ولكن لا يمارس، وقد ننعته بالمثقف الميت.

أذكى رجل في العالم هو "ويليام جيمس سيديس"، والذي لقب ب "العبقري الفاشل" بلغت نسبة ذكائه (IQ) ٣٠٠، حيث يعتبر ١٠٠ هو المتوسط العالمي، إلا أن نسبة ذكاء سيديس لم يصل اليها أي انسان على مر التاريخ!

تم قبوله في جامعة هارفارد في سن التاسعة من العمر لعبقريته، إلا انه مات فاشلا ووحيداً، حيث تعرض الى ضغوطات اجتماعية أدت بانسحابه ومكوثه في عزلة حتى وفاته، ورغم أنه عبقري هذه الإنسانية، الا انه لم يقدم نقلة نوعية في المشوار الإنساني، بينما عالم الفيزياء الألماني "البرت اينشتاين" صاحب النسبة العامة

والخاصة، لم تصل نسبة ذكائه الى نصف ما وصل اليه سيديس، حيث قدرت حوالي ١٦٠، الا أن أينْشتاين قدم للبشرية والفيزياء وللعلم مالم يقدمه أي عالم على وجه الأرض.

الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" نثر هذه العبارة: "كل تقدم في المعرفة كان نتيجة شجاعة"، وفي كتابه "هكذا تكلّم زرادشت" تحدث عن شجاعة رجل الدين الفارسي "زرادشت"، فكتب يقول:

"زرادشت يمتلك من الشّجاعة ما يفوق شجاعة كلّ المفكّرين مجتمعين، التّكلّم بالحقائق وإتقان الرّماية، تلك هي الفضيلة الفارسيّة".

سيديس أنتج ولكنه لم يمارس، وهو بذلك مثقف ولكنه ميت، بخلاف أينشتاين الذي كان شجاعاً، فأنتج ومارس، وهو بالتالي مثقف عضوي.

وهنا وجب التفريق بين الفكر والثقافة، فالفكر موضوعه الإنتاج، وغايته "الوعي"، والثقافة موضوعها توزيع الإنتاج، وغايتها "السلوك".

والعلاقة جدلية بين الفكر والثقافة.

كما أن المثقف العضوي ينتج ويناضل، وهذا الفرق بين العلم المناضل والعلم الأكاديمي، فالعلم المناضل عضوي، أما العلم الاكاديمي أصم، لذلك يجب أن يتحرك كي يصبح أكاديمي مناضل.

ديكارت كان يقول: اللذة الصافية التي لا يعتريها الألم هي لذة التحصيل المعرفي"، لذلك، أول رافعة لإطلاق الحضارة هو العلم والتعليم العضوي، والحضارة لا يصنعها العموم، بل الخصوص "النخبة".

المؤرخ الامريكي "مارشال هودسون" في كتابه "مغامرات الاسلام" قال بأن عامل اطلاق الحضارة لدى العرب هو الإسلام، كما المستشرق اليهودي الحاقد على الإسلام "برنارد لويس"، والذي قال أيضا في كتابه "الشرق الأوسط" وكتابه "جذور الغضب الاسلامي" بأن الاسلام هو الذي بعث العرب وجعل منهم وأمة وحضارة عظيمة،.

والمؤرخ البريطاني "أرنولد جوزف تُوينْبِي"، والذي أعترف بأن الاسلام هو الباعث لإطلاق الحضارة عند العرب والمسلمين، بالإضافة الى "ابن خلدون" الذي قال بهذا أيضا.

أتقدّم بعزائي للثقافة

أُعزّي الثقافة على فاجعتها.. أُعزّي الأدب، أُعزّي الشعر، أُعزّي الرواية، أُعزّي القصة، أُعزّي الكتابة على كل ما يحدث، وكل مالم يحدث.

أواسيها.. فقد عطفوا عليها بنص إباحي، اصطنعه من يدّعون الأدب من الكتاب والشعراء والروائيين -العرب والمسلمين- من يتمسّحون الجسد، ويعبدون أرضه.

الصائلون والواغلون بتوظيف الجنس وهوسهم الحيواني في النص، محتجين بأن الجنس جزء من الشعر والرواية والكتابة العربية، وهل فعل ذلك أيقونات الغرب في العالم ومشاهيره؟ كلا.. لم يفعلوا ذلك.

السير الإنجليزي "تشارلز سنبسر تشابلن" والذي امتدت مسيرته لأكثر من ٧٥ عامًا، لم ينطق بكلمة واحدة تخدش الحياء، حاله كحال البريطاني "روان أتيكنسون" المشهور ب "مستر بين"، والذي لم ينطق بكلمة واحدة تعترض الأخلاق.

لقد نُقل عن علماء السيكولوجي في مجلة "فوربس" أن طريقة الكتابة هي عبارة عن رسائل تنقل لنا جوانب من شخصية الكاتب، لذلك، ومن وجهة نظري الشخصية أجد أن "الكاتب النسونجي" المتحرش في النص، هو في الواقع يتحرش في المرأة.

لذلك.. أنا أعترض على "الكاتب النسونجي"، وعلى نصه الإباحي الذي يتعارض مع الدين وصحيحه.

فقد جاء عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: "إن الله يبغض الفاحش البذيء "، وورد عنه -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"، وقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :مَا كَانَ

الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شانَهُ، ومَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ"، وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّه عنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :"إِنَّ اللَّه يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ" .

وأختم بأن الكاتب الحقيقي هو من يحافظ على شرف النص وطهارته، حتى ربنا سبحانه وتعالى كان عزيزاً في حديثه معنا عبر النص القرآني، فقال سبحانه: "فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ" (الآية ٢٢٢/ البقرة) وقال تعالى: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (الآية ٢٢٣/ البقرة).

إنني أتألم حينما ألمس جرح النص ونزيف البيت، وأتقدم بعزائي الخالص للثقافة قائلا:

"أن تكتب هو ما حدث، لكن أن تكون كاتباً هو كل ما لم يحدث!!".

"إنّ الكتابةُ هي الكتابةُ، كما أنّ الوردة هي الوردة".

المفكر الإسلامي

م.محمد نبيل كبها

الفهرس

توطئة
... ٤
المقدمة
... ٥
الفصل الأول: مفهوم الأدب، ومفهوم الثقافة، ومن هو الكاتب النسونجي؟
... ١٦
الفصل الثاني: عوائق النهوض الحضاري في الأمة العربية والإسلامية مدخله التخلّف الثقافي
... ٢١
الفصل الثالث: الواقع المخجل لأمة إقرأ هي أنها لا تقرأ، لذلك هي أوهن الأمم
...٣٠
الفصل الرابع: الأزمة لا تنحصر في جهالة العموم فقط، وإنما في قلب النخبة التي تدعي الثقافة
... ٣٦
الفصل الخامس: خطر الكاتب النسونجي على الثقافة والمجتمع
... ٤٠
الفصل السادس: المصلح الثقافي، وأنواع الإصلاح
... ٤٦
الفصل السابع: من هو المثقف؟ أنواعه؟ شروطه؟
... ٥٧
أتقدّم بعزائي للثقافة
... ٦٨
في الختام
... ٧٠
الفهرس
... ٧١